الفتنة الطائفية في أرض النيل
وعلاجها من القرآن والإنجيل

الفصل الخامس

رؤية شرعية
لحل هذه الإشكالية

◆◆◆

obeikandl.com

obeikandl.com

بعد هذه الجولة السريعة جاء وقت وضع الحلول الشرعية لهذه الإشكالية، وهو اجتهاد أرجوا أن يكون صاحبه مأجور، كما أرجو أن يسهم في تخفيف حدة التوتر، والاحتقان بين المسلمين والنصارى في مصر.

احترام النصوص المقدسة لكل ديانة:

العمل على احترام النصوص المقدسة لكل ديانة، وعدم أهانتها بالقول، والفعل، ففي الإسلام ينهى القرآن صراحة عن سب من يدعو غير الله -تعالى- وعلل ذلك بأن لا يكون ذريعة إلى سب الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[1].

وفي أول لقاء بين الإسلام، والنصرانية عندما استقبل رسول الله وفد نصارى نجران بالمدينة المنورة(10هـ/ 631 م) كان احترام الإسلام لمقدسات الآخرين الدينية معلماً من المعالم البارزة التي أرساها الإسلام في النظر، وفي التعامل مع هؤلاء الآخرين.

ولم يكن ذلك مجرد سماحة من الرسول ﷺ -، ولا محض سياسة في التعامل مع هؤلاء الآخرين غير المسلمين.. وإنما كان- فوق ذلك وقبله- انطلاقاً من الإيمان الديني الإسلامي الذي لا يكتمل إلا بالاعتراف بكل الشرائع، والكتب التي يتعبد بها هؤلاء الآخرون، فالمسلمون يتلون في قرآنهم الكريم قول الله تعالى – وصفاً لهم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ

(١)(الأنعام/ ١٠٨).

وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[1].

وكتابهم – القرآن الكريم- قد جاء مصدقاً لما بين يديه من وحي الله – سبحانه وتعالى- إلى جميع الرسل والأنبياء فالوحي القرآني هو الفصل الخاتم، والجامع المفصل في سلسلة الوحي الإلهي على مر تاريخ الرسالات، والنبوات، وفي هذا الوحي القرآني يصلي المسلمون، ويسلمون على كل الأنبياء والمرسلين..ويعظمون الهدى، والنور الذي أنزل الله على موسى- في التوراة - وعلى عيسى- في الإنجيل- ويؤكدون على الانتماء إلى ملة أبي الأنبياء. الخليل إبراهيم-عليه السلام-.

لهذا الإيمان الديني الإسلامي- الذي أسسه للسماحة الإسلامية- كان احترام الإسلام، والمسلمين لكل مقدسات أصحاب المقدسات الدينية منذ اللحظة الأولى للقاء الإسلام بأهل الكتاب- من اليهود والنصارى- وطول تاريخ الإسلام، بل إن هذه القاعدة الإسلامية قد طبقها المسلمون مع أهل الديانات الوضعية – ومع مقدساتهم- انطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ - :«سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»[2]... فاحترم المسلمون الخصوصيات الدينية، ودور العبادة لأهل تلك الديانات، وعاش في عالم الإسلام، وحضارته المجوس، والبوذيون والصابئة، والهندوس، وكل ألوان الطيف الديني- مع أهل الديانات السماوية يتعبدون في معابدهم التي احترمها، وصانها، وقدسها الإسلام والمسلمون[3].

وإني أتعجب من قيام مجموعات تنصيرية في أول شهر رمضان سنة 2005م بتوزيع اسطوانة مدمجةCD على شباب الجامعات في:القاهرة والإسكندرية، والمنصورة، وبنها كُتب عليها:هدية رمضان!!! واتضح أن هذه الاسطوانة تحوي مسرحية سافلة مثلت في أحد كنائس الإسكندرية بعنوان:« كنت أعمى والآن

(١)(البقرة/ ٢٨٥- ٢٨٦).

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)د.محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الشروق الدولية، الطبعة الأولى٢٠٠٥م،٣/ ٩: ١٠.

أبصر» تحكي قصة شاب نصراني أسلم، ثم اكتشف أن الإسلام ديانة شيطانية- على حد قوله- فعاد للنصرانية، وحاول المسلمون قتله لكنه نجا ببركة العذراء!!، وقد أدت هذه المسرحية إلى قيام الكثير من المسلمين بمهاجمة الكنيسة التي عرضت بها، واستمرت أحداث العنف أكثر من شهر كامل[1]، ماذا نطلق على هذا العمل؟، وهل ينتظر هؤلاء أن يجنوا من ورائه عماراً، أو استقراراً؟.

ومما يؤسف له أنه من المسلمين من يعني، ويهتم بمشاعر النصارى، ولا يعني بمشاعر المسلمين من قريب، أو بعيد، وأذكر نموذجاً هنا:عادل إمام. فقد استضاف الإعلامي محمود سعد عادل إمام في برنامج (البيت بيتك) فصال، وجال، وكان مما قال:«إنه عندما عزم على فيلمه الجديد(حسن ومرقص) والذي تدور أحداثه عن شيخ مسلم- حسن- ورجل دين نصراني- مرقص- جمعتهما الصداقة، والمحبة في الهروب من المتعصبين الذين يريدون التربص بهما، ومحاولة قتلهم لأعز ما تملكه مصر وهو وحدتها الوطنية، أقوم في الفيلم بدور مرقص، ويقوم عمر الشريف بدور حسن.

وقال عادل إمام:«...ذهبت إلى الكاتدرائية بالعباسية، وقابلت البابا شنودة، لأستأذن القيام بدور القسيس!!!، لاسيما بعد أن حذرني المقربون من أداء هذا الدور، إلا أن البابا شنودة رفض باعتبار أن القسيس له مكانة خاصة، وزي خاص، فاستأذنت أن أقوم بدور أستاذ في اللاهوت!! فوافق البابا على الأخير[2].

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد مساء يوم13فبراير2008م بسينما جود نيوز بمناسبة بدأ تصوير فيلم: حسن ومرقص أكد عادل إمام أيضاً أنه قبل الانتهاء من كتابة السيناريو عقد لقاءات مطولة مع البابا!!، وتحدث عن أشياء تفصيلية في العقيدة المسيحية حتى لا يقدم شيئاً خاطئاً!!!، وقد رحب البابا بالموضوع، وأعطانا

(١)جريدة الميدان: ٦/ ١٠/ ٢٠٠٥م، العدد٦٢٥.

(٢)جريدة الأهرام:١٣صفر/ ١٤٢٨هـ/ ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٨م، العدد٤٤٢٧٠.

كل التسهيلات...»[1]. الأمر الذي جعل الدكتور نبيل لوقا بباواي يُثّمن له هذا العمل؛ فكتب في جريدة الجمهورية :«حيوا معي عادل إمام، وعمر الشريف، والوحدة الوطنية»[2].

وأنا وكل عاقل لا يعترض على هذا، فللبابا شنودة كل الحق في الحفاظ على صورة، ومظهر رجال الدين النصراني، وهذا موقف يحمده له كل نصراني، ولكن لماذا لم يصنع عادل إمام مع شيخ الأزهر ما صنعه مع البابا شنودة ؟!!.

لقد أجلب عادل إمام- بحجة محاربة الفكر المتطرف- بخيله، ورجله على كل ما هو ديني، بدءًا من الاستهزاء بالمشايخ، والحجاب، واللغة العربية، واللحية في الكثير من أعماله السينمائية مثل :(الإرهابي، الإرهاب والكباب، زوج تحت الطلب- طيور الظلام- أمير الظلام- الواد سيد الشغال- شاهد ما شفش حاجة... وغيرها من الأعمال[3].

وفي فيلم الإرهابي تحديداً أظهر صور المتدين بكل الصفات السيئة، والمتناقضة في نفس الوقت: كذاب، وقاتل، ومكفر، وفي نفس الوقت سارق، وشهواني، يراقب أفخاذ النساء، وفي المقابل يظهر صورة النصراني بكل السجايا الطيبة فهو ينتمي لأسرة متدينة لدرجة أنها لا تشاهد التلفاز حتى في مباريات الكرة، ولا أنكر أن هناك نصارى محافظين، لكن هناك أيضاً من النصارى من يرتكب المحرمات، والمخالفات فهل يجرؤ عادل إمام، أو غيره أن يظهر صورة النصراني بصورة لا

(١)جريدة الأهرام المسائي:٧صفر١٤٢٨هـ١٤/ ٢/ ٢٠٠٨م، العدد٦١٣٦.

(٢)د.نبيل لوقا بباواي: حيوا معي عادل إمام وعمر الشريف والوحدة الوطنية، جريدة الجمهورية: الثلاثاء ٢٨محرم١٤٢٨هـ٥/ ٢/ ٢٠٠٨م، العدد١٩٧٦٢.

(٣)أحياناً كنت ألتمس العذر لعادل إمام بسبب الهالة الإعلامية الضخمة التي تحيط به من ناحية، ومن ناحية أخرى سكوت العلماء عن مخالفاته، وتجاوزاته، وقد حذرني أحد إخواني المقربين بعدم الحديث عن عادل إمام، وقال إنه دولة!!!.

تليق كما يفعل مع المسلمين؟ [١].

لقد دأب عادل إمام حتى في بداياته على مهاجمة المتدينين فلم ينس الناس مشهد المدرس الأزهري الذي تراقص في مسرحية مدرسة المشاغبين، ولن أحدثكم عن الأثر التربوي السيئ الذي تركته هذه المسرحية في الأوساط التعليمية.

لقد استهزأ بالمأذون[٢]، وكشف عن ساقيه، واستهزأ باللغة، وبموقف سيدنا سفيان بن حرب في غزوة بدر، وذكر أنه غير طريق القافلة إلى طريق صلاح سالم!! [٣].

ويتكرر موقفه من المأذون[٤]لدرجة أن المأذون ينسب للقرآن ما ليس منه، فيقول

(١)شن الداعية الإسلامي الشيخ خالد الجندي هجوماً عنيفاً على الفنان عادل إمام وقال : إنه لا يزيد عن «حتة ممثل، وليس زعيماً، وإذا كان زعيماً، فهو زعيم على نفسه، وليس على الشعب».وقال الجندي، بحسب ما جاء في تصريحاته على قناة أزهري الفضائية، أن عادل إمام دائماً ما يقدم اللحية، والجلباب في كل أعماله الفنية على أنها صوراً للإرهاب، والتشدّد الديني، وانتقد الجندي فِيلم عادل إمام «الإرهابي» من حيث استخدامه فيه للألفاظ الإسلامية بشكل كوميدي، وكانت النتيجة من ذلك أنها أصبحت «إفيهات» رائجة لدى رجل الشارع. وأعرب الجندي عن استيائه الشديد من تصوير شخصية الإرهابي المسلم التي لعبها عادل إمام في الفِيلم على أنها مزدوجة الشخصية من حيث أنها لا تصلّي فرضاً واحداً، وأعجبت بالخمر بعدما شربته، ويرغب في ارتكاب الزنا، واستنكر خالد الجندي رد عادل إمام عليه في إحدى المرات بأنه فنان عالمي، موضحاً أنه لم ينل أي جائزة عالمية، كما استهزأ بقوله في برنامج «البيت بيتك»: «إنه سيدخل الجنة لمجرد أنه يُضحك الناس. وأكد خالد الجندي أنه مستعد لإجراء مناظرة مع عادل إمام على الهواء مباشرة بشأن تحرشه الدائم بدعاة الإسلام، والحديث عن التاريخ الثقافي للسينما المصرية، موضحاً أنه متذوق جيد للفن، وحاصل على المركز الثاني في الفنون التشكيلية بمصر. وقال الجندي موجهاً كلامه لعادل إمام بقوله:«أنا لست «هلفوت» ولا «منسي»، وليس لي زعيم آخر يا عادل سوى واحد فقط في بلدي».

(٢)أتحدى أن يخلو عمل فني من السخرية بالمأذون.

(٣)في مسرحية الواد سيد الشغال.

(٤)في زوج تحت الطلب.

قال الله – تعالى- :(أَبْغَضُ الْحَلاَلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلاَقُ) [1] وهذا حديث ضعيف بإجماع العلماء، وليس آية من كتاب الله، ولا أحسب أن مؤذوناً واحداً يجهل هذا، بل لا يجهل هذا أي طفل مسلم في المرحلة الابتدائية! والسؤال كيف مرَ هذا العمل على الممثلين، والمصورين، والمنتجين، والمخرجين، والمشاهدين، وأين مقصلة المراقبين!!؟.

وقد عمل في الكثير من أعماله[2] على الترويج لفكرة المحلل التي ترفضها الشريعة الإسلامية قولاً واحداً، دون الإشارة من قريب، أو من بعيد إلى عدم مشروعية هذا العمل.

وأجدني بحاجة ماسة أن أهدي لعادل إمام، وفريق العمل في فيلم (زوج تحت الطلب) ومسرحية (الواد سيد الشغال) نص ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «دين الله أزكى، وأطهر من أن يُحرم فرجاً من الفروج حتى يستعار له من تيس من التيوس، لا يرغب في نكاحه، ولا في مصاهرته، ولا يرغب بقاؤه مع المرأة أصلاً، فينزو عليها، وتحل بذلك، فإن هذا بالسفاح أشبه منه بالنكاح. بل هو سفاح وزنا، كما سماه أصحاب رسول الله ﷺ -، فكيف يكون الحرام محللاً؟، أم كيف يكون الخبيث مطيباً؟، أم كيف يكون النجس مطهراً؟، وغير خاف على من شرح الله صدره للإسلام، ونور قلبه بالإيمان أن هذا من أقبح القبائح التي لا تأتي بها سياسة عاقل، فضلاً عن شرائع الأنبياء، لاسيما أفضل الشرائع، وأشرف المناهج، والله- سبحانه وتعالى- أعلم، وأحكم من أن يشرع مثل هذا، ولما رأت القلوب السليمة، والفطر المستقيمة أن حقيقة هذا حقيقة السفاح، لا النكاح، لم تلق له بالاً، فصار يتولد من فعل هذا من المفاسد أضعاف مفاسد المتعة[3].

(١)ضعيف:أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٣٨ رقم١٠٥٦) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم(٤٤).

(٢) على سبيل المثال: زوج تحت الطلب، ومسرحية الواد سيد الشغال.

(٣)ابن تيمية: الفتاوى الكبرى٣/ ٣٤٧، ٣٤٨.

ويتواصل مسلسل السخرية بالشعائر الدينية فلن يجد من يهزئ بهم إلا المصلين فيركب طائرة، وهو أعمى[1]، وأثناء ركوع المصلين تمر الطائرة من فوقهم، فيخرجون من الصلاة بدعاء غريب... ولم ينس عادل إمام السخرية من اللحية، والدعاء في الكثير من أعماله السينمائية[2]، والتي لا أكون مبالغاً لو قلت :إنه قل أن يخلو عمل من أعماله من النيل من الإسلام، وشعائره، ورجاله، وهديه[3].

الغريب أن يشن عادل إمام هجوماً صارخاً على ما أطلق عليهم الدعاة الجدد، أو دعاة الفضائيات، واستنكر أنهم يحصلون على أجر مقابل هذا العمل، وتعجب من وجود إعلانات كبيرة في الميادين تدعوا الناس لمتابعتهم. على الرغم أن عادل إمام « يتقاضى أعلى أجر في السينما المصرية والعربية، ويصل أجره إلى14[4] مليون جنيه في الفيلم الواحد.!!.

بالطبع فإن المشايخ، والعلماء، والدعاة داخل المساجد، وخارجها على شاشات الفضائيات، أو خارجها لا يحصلون مجتمعين على ربع ما يحصل عليه عادل إمام في فيلم واحد!!!!. فالأول يعيش حياته بما فيها من ملذات يتقلب بين أحضان الممثلات الفاتنات، ويطبع على شفاههن مئات القبلات[5] ناهيكم عن اللمسات، والغمزات، والإيحاءات لدرجة أنه تذوق حتى الدنمركيات!!!.

---

(١)في فيلم أمير الظلام.

(٢)على سبيل المثال: طيور الظلام – الإرهابي– الإرهاب والكباب– يقول في فيلم: حتفي الأبهة:«عمتي من عائلة محافظة تصدق إن عمتي مربيا دقنها!!.

(٣)ولم تسلم الشهور الإسلامية هي الأخرى من سخريته فتجده مرة: رجب فوق صفيح ساخن، وتارة أخرى: شعبان تحت الصفر، وأخيراً: رمضان فوق البركان!!!.

(٤)أرسل الصحفي محمود معروف تلكس إلى عادل إمام في جريدة الجمهورية الخميس٢٤ شعبان٥أغسطس٢٠١٠م، جاء فيه: اللهم لا حسد..أجرك٣٠مليون جنيه في مسلسل «العراب»..همه لامؤاخذة بجيبوا كام كيلو لحمة؟!.

(٥)في مسرحية الواد سيد الشغال نالت رجاء الجداوي وحدها منه عشرات القبلات.

قال طارق الشناوي :«تستطيع أن ترى آخر أفلام عادل إمام «بوبوس» لن تعثر سوى على لهاث لا ينقطع من «عادل إمام» لكي يغازل شباك التذاكر بالكلمة، والموقف، ودائماً وسيلته المؤثرة هي: العري، والجنس، والفياجرا اللعب بهذه المفردات هو طريق «عادل» لكي ينتزع الضحكات... هذا هو على الأقل ما يعتقده..دائماً أقراص الفياجرا لا تغادر جيبه يدفعها كرشوة على سبيل المساعدة لكل من يقابله ولا شيء أبعد من ذلك؟!! [1].

أما الدعاة فعلى الرغم من سمو رسالتهم، ودورهم الكبير، والخطير إلا أنهم يعيشون غربة حقيقية فإذا ذكروا في الإعلان فللهمز واللمز. فإذا كان عادل إمام صادق، وجاد في حرصه على الوحدة الوطنية، ووأد الفتنة الطائفية فيجب عليه أن يراعي المشاعر الدينية للمسلمين، فلا يجرح عقيدتهم، وشعائرهم، ورموزهم بالفعل كما صنع مع النصارى.

إن ما قاله عادل إمام في (البيت بيتك) وفي المؤتمر الصحفي جعل الكثيرون يتساءلون هل الحديث عن النصرانية، وشعائرها الدينية حرام، ويجب الاستئذان فيه أولاً، أما في الإسلام فبرد، وسلام أن ننهش فيه، وفي أحكامه، ومُعائره، ورموزه؟.

العمل على إبراز القواسم المشتركة

يحض كل من الإسلام، والنصرانية عى عمل الخير، وعلى سلوك حياة صالحة نقية كريمة، وكلاهما سيتنكر الكذب، والخيانة، والنفاق، والظلم، والقسوة، والتكبر، والغدر، والغضب، كما يحرم كلاهما الطمع والشهوة، والغيرة، والأنانية، والجحود، والتجمد، واستخدام القوة، والكلمات القاسية، وكلاهما ينادي بالتوبة، وقول الصدق، والحياة النقية، والاتصاف بالشجاعة، والعدل، والإحسان، والعطف، والرحمة، واحتفاظ الإنسان بضبط النفس، والاستقامة[2].

(١)طارق الشناوي: يكتب لمصراوى: عادل إمام ضد عادل إمام!!!:موقع مصراوي.

(٢)أحمد ماهر:الأناجيل دراسة مقارنة، دار المعارف. ص(١٣١).

هذه القواسم المشتركة بين أهل الأديان السماوية، يمكن أن تجمع بينهم، وإبرازها من شأنه أن يضيّق هوّة الخلاف الحضاري بين الناشئة من مختلف الأديان، والملل، ويقلّل من احتمالات نشوب الحروب، وعمليات الاقتتال بينهم، بسبب الدين، أو الجنس، أو غيرهما من أوجه الخلاف.

إن النصوص التي تدعوا للرحمة، والمحبة، والسلام، والصفح في القرآن، والإنجيل أكثر من أن تحصى، والمطلوب هو تسليط الضوء عليها، وتفعيلها عملياً في الحياة.

في الإسلام:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[3]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ

(١)(الإسراء/ ٣٢: ٣٨).

(٢)(المائدة/ ٣٢).

(٣)(الحجرات/ ١١).

ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

في النصرانية:

جاء في (إنجيل لوقا٢٧: ٤٢): «٢٧ وَأَمَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ، فَأَقُولُ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ؛ أَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ؛ ٢٨ بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ؛ صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. ٢٩ وَمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ، فَاعْرِضْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنِ انْتَزَعَ رِدَاءَكَ، فَلاَ تَمْنَعْ عَنْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً. ٣٠ أَيُّ مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً فَأَعْطِهِ؛ وَمَنِ اغْتَصَبَ مَالَكَ، فَلاَ تُطَالِبْهُ. ٣١ وَبِمِثْلِ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ عَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً. ٣٢ فَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ! ٣٣ وَإِنْ أَحْسَنْتُمْ مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ مُعَامَلَتَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يَفْعَلُونَ هَكَذَا! ٣٤ وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَأْمُلُونَ أَنْ تَسْتَوْفُوا مِنْهُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يُقْرِضُونَ الْخَاطِئِينَ لِكَيْ يَسْتَوْفُوا مِنْهُمْ مَا يُسَاوِي قَرْضَهُمْ. ٣٥ وَلكِنْ، أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا الْمُعَامَلَةَ، وَأَقْرِضُوا دُونَ أَنْ تَأْمُلُوا اسْتِيفَاءَ الْقَرْضِ، فَتَكُونَ مُكَافَأَتُكُمْ عَظِيمَةً، وَتَكُونُوا أَبْنَاءَ الْعَلِيِّ، لأَنَّهُ يُنْعِمُ عَلَى نَاكِرِي الْجَمِيلِ وَالأَشْرَارِ. ٣٦ فَكُونُوا أَنْتُمْ رُحَمَاءَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ رَحِيمٌ.

ونفس الإنجيل: «٣٧ وَلاَ تَدِينُوا، فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَحْكُمُوا عَلَى أَحَدٍ، فَلاَ يُحْكَمَ عَلَيْكُمْ. اغْفِرُوا، يُغْفَرْ لَكُمْ. ٣٨ أَعْطُوا، تُعْطَوْا: فَإِنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي أَحْضَانِكُمْ كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً، لأَنَّهُ بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ، يُكَالُ لَكُمْ». ٣٩ وَأَخَذَ يَضْرِبُ لَهُمُ الْمَثَلَ، فَقَالَ: «هَلْ يَقْدِرُ الأَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى؟ أَلاَ يَسْقُطَانِ مَعاً فِي حُفْرَةٍ؟ ٤٠ لَيْسَ التِّلْمِيذُ

(١)(النساء/ ١٣٥).

(٢)(فصلت/ ٣٤).

أَرْفَعَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ يَتَكَمَّلُ يَصِيرُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ!" وَلِمَاذَا تُلاَحِظُ الْقَشَّةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَلكِنَّكَ لاَ تَتَنَبَّهُ إِلَى الْخَشَبَةِ الْكَبِيرَةِ فِي عَيْنِكَ؟" أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ: يَاأَخِي، دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَشَّةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ! وأَنْتَ لاَ تُلاحِظُ الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ أَنْتَ. يَامُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَعِنْدَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً لِتُخْرِجَ الْقَشَّةَ الَّتِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ. وفي (متى٥: ٤٤)« أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَبَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَأَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَضْطَهِدُونَكُمْ ».

وفي (الرسالة إلى أهل كورنثوس٤: ١٢-١٣)« نشتم فنبارك، نضطهد فنحتمل، يفترى علينا فنعظ». وفي(في الرسالة إلى أهل رومية١٢ :١٤) «باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا».

وفي (متى ٥/ ٣٠:٢٧)« ٢٧ وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لاَ تَزْنِ! "أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ بِقَصْدِ أَنْ يَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ! "فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى فَخّاً لَكَ، فَاقْلَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ! "وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَخّاً لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ!».

وفي (مرقس١٢/ ٢٩: ٣١):« أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ "فَأَحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ فِكْرِكَ وَبِكُلِّ قُوَّتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. "وَهُنَاكَ ثَانِيَةٌ مِثْلُهَا، وَهِيَ أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. وفي (الرسالة إلى أهل رومية١٢/ ١٩):«لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء».

وأنا أسأل النصارى المتشددين منهم ألستم تؤمنون بهذه النصوص؟ فلما تعطلون العمل بها؟ إنني بالطبع لا أطالبكم كما يأمركم الإنجيل أن تعرضوا الخد الأيسر لمن ضَرَبَكم عَلَى الخَدِّ الأيمن!! كلا، بل قليل من التسامح، والعفو، والمغفرة التي يأمركم بها الإنجيل.

وضع قانون واضح لبناء الكنائس

ومن الأمور التي يجب أن توضع تحت الدراسة وضع قانون واضح لبناء الكنائس يلبى الرغبة الحقيقية، ويسد الاحتياجات الفعلية للنصارى، قانون يحكمه الكثافة السكانية، والأهداف المرجوة من إقامة الكنيسة، قانون يضع حداً لجموح البعض، دون حاجة حقيقية، وتحويل هذا السباق المحموم إلى أعمال خيرية أخرى مثل: بناء المستشفيات، والمدارس، والمعاهد العلمية باعتبارها من الأعمال الجليلة التي يثاب عليها النصراني كما جاء في كتابهم المقدس. ففي إنجيل (متى:١٩/ ١٦- ٢٣)"وَإِذَا شَابٌّ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ؟»"فَأَجَابَهُ: «لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ وَاحِدٌ هُوَ الصَّالِحُ. وَلكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا». "فَسَأَلَ: «أَيَّةِ وَصَايَا؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ؛ لاَ تَزْنِ؛ لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ؛ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ...»"قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلَّهَا عَمِلْتُ بِهَا مُنْذُ صِغَرِي، فَمَاذَا يَنْقُصُنِي بَعْدُ؟»"فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً، فَاذْهَبْ وَبِعْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ، وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ. وَتَعَالَ اتْبَعْنِي!» "فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ هَذَا الْكَلاَمَ، مَضَى حَزِيناً لأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ ثَرْوَةٍ كَبِيرَةٍ. "فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى الْغَنِيِّ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ[1].

ومما يؤسف له أنه وبضغط من النصارى في الداخل، والخارج بدأت إرهاصات مشروع قانون بناء دور العبادة الموحد، وقد تسرب هذا المشروع لعدد من وسائل الإعلام، وقد تبين أن من قام على هذا المشروع كأنه يزيد حالة الاحتقان اشتعالاً، وكأني به يُفصل مشروعاً لدولة غير التي نحيا عليها، وهذه بعض تداعيات ظهور مسودة هذا المشروع:

* فقد تقدم مجموعة من المحامين على رأسهم ممدوح إسماعيل عضو مجلس

(١)هذا النص موجود أيضاً في إنجيل مرقص (١٠/ ١٧ - ٢٣) ولوقا(٨/ ١٨- ٢٤).

النقابة العامة للمحامين ببلاغ إلى النائب العام ضد الدكتور عصام شرف - رئيس مجلس الوزراء- طالب فيه بفتح باب التحقيق مع كل من ساهم في وضع مشروع قانون دور العبادة الموحد، معتبراً أنه يهدد السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية...وحذر البلاغ الذي تم تقديمه بنسخة منه إلى المشير محمد حسين طنطاوي -رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة- من أن مشروع القانون- وفق ما تناقلته وسائل الإعلام- تضمن بنود لو طبقت لاشتعلت مصر غضبًا، وتهدد السلام الاجتماعي، والوحدة الوطنية بفتن خطيرة لا يعلم مداها إلا الله.

واتهم البلاغ واضع هذا القانون بأنه «يخلق الفتنة الطائفية خلقًا، ويؤسس للصراع، والنزاع، والفتنة في مصر تمهيدًا للتدخل الأجنبي، وتقسيم مصر وتحقيق أهداف الصهيونية»، على حد قوله، واعترض بشكل خاص على منح الترخيص لبناء المساجد، والكنائس وفق بالمسافة واحد كيلومتر بين كل مبنى للعبادة وآخر، في حين أن المعيار العالمي لحقوق الإنسان في توافر مباني العبادة مبنى على الكثافة، والمساحة المخصصة لكل فرد ٦٠ في ٦٠، أو واحد متر في واحد متر في حين أن مساحة واحد كم مربع في القرى المزدحمة، والمناطق الشعبية، وكمناطق العمارات العالية تزيد الكثافة في كم المربع لتصل إلى عدة الآلاف لا يكفيهم مبنى للعبادة واحد.

وتساءل: أين يصلى عشرات الملايين من المسلمين؟ هل بالشوارع لعدم كفاية مساحة المساجد أم سوف تجرم الصلاة بالشوارع ؟ ولماذا يصلى المسلمون في الشوارع ؟ والمسيحيون يصلون في كنائسهم في راحة، ويسر؟!. وقال إنه وفق ذلك سيلجأ المسلمون لبناء دار آخر بالابتعاد واحد كيلو متر لبناء مسجد مما يدخلهم في حيز منطقة أخرى مبنى فيها بناء للعباد «مسجد»، وبالتالي يحرمهم القانون من حقهم العالمي من الحصول على دار عبادة وفقا لعددهم في المنطقة.

واستند البلاغ إلى أن وزارة المواصلات تجعل المسافة بين محطة الأتوبيس

والأخرى لا تزيد عن ٥٠٠ إلى ٦٠٠ متر، لأنها تعتبر مسافة كبيرة على الأفراد للسير على أقدامهم لقضاء أعمالهم فتوفر لهم مواصلة لتنقلهم من مكان لآخر.

كما أن تحديد مسافة واحد كيلو متر كبيرة جداً على الشيوخ، والأطفال، والمرضى، والمعاقين لأداء الفروض الخمس بالمسجد كما تأمر بذلك الشريعة الإسلامية.. وذكر أنه وفق «القانون المشبوه، والمتهم بمعاداة المسلمين» فإن المسلم سيقطع يوميًا مسافة ١٠ آلاف متر ذهابًا وإيابًا، متسائلاً: هل يعقل هذا في أي قانون في العالم إنها الفتنة، والنار التي تطل برأسها لتشعل مصر. وحذر من أن القانون سيتسبب في أخطار تفجر الفتن باعتماده على معيار المسافة المشبوه، وعدم اعتماد الكثافة كمعيار عالمي في تحديد الحقوق في بناء دار العبادة، ويجعل الحق لكل مسيحي، أو أسرة في بناء كنيسة مادمت أقرب كنيسة تزيد على واحد كم، في حين أن ألف أسرة مسلمة، أو أكثر لا تملك قانونًا بناء مسجد لأن هناك مسجد على مسافة واحد كم متر على الرغم أن من يصلى في الشارع عشرات أضعاف من يصلى بالمسجد.

وهاجم البلاغ مشروع القانون لأنه لا يهتم أبدًا بالحق الإنساني، والإسلامي للمسلمين في حين يجعل من حق فرد واحد قبطي، أو أسرة واحدة قبطية على ١٠٠٠ متر من دور العبادة وبالتالي سيبنى عشرات الآلاف من الكنائس وهو حق محروم منه عشرات الملايين من المسلمين يصلون في الشوارع، واعتبر تقييد البناء على مساحة ١٠٠٠ متر مربع يعارض حديث النبي ﷺ - القائل: (من بَنَى مَسْجِدًا كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أو أَصْغَرَ بَنَى اللهُ له بَيْتًا في الْجَنَّةِ)[1] فالرسول، والشريعة الإسلامية لا يشترط مساحة للمسجد، بينما القانون يحدد مساحة ١٠٠٠ متر.

ومثل هذا المبنى يتكلف الآن عدة ملايين، والغالبية العظمى من المسلمين فقراء...، وبالتالي لا تملك الغالبية المسلمة البناء في الأرض الفضاء إلا بعد مرور

(١) صحيح: رواه ابن ماجة برقم ٧٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦١٢٨.

عدة سنوات، لأنها لا تملك المبلغ المطلوب لبناء مسجد على تلك المساحة المحددة.

في المقابل، قال : إن مشروع القانون يسمح لمن يملك المليارات، والملايين من النصارى أن يبنى بسرعة الكنائس، فضلاً عن أن يشترى عدة عمارات في أماكن مزدحمة بالشراء مما يسمح ببناء كنائس بكثرة لا تتناسب مع عدد السكان النصارى، ولا احتياجاتهم التعبدية مطلقًا، ويتسبب في فتنة لا يعلم مداها إلا الله.

وأشار أيضاً إلى أن القانون يسحب الشرعية، ويجرّم عشرات الآلاف من الزوايا الموجودة حالياً والتي يجب أن تظل قائمة حتى تمام بناء الـ ٥٢٠٠٠ مسجد على الأقل، حتى يتم استيفاء حق المسلمين في المساجد بالنسبة لعددهم وحاجتهم.

كما أن القانون يجرم بناء المساجد على شواطئ الترع، وهو بذلك – كما يقول البلاغ- يمنع المسلمين من الصلاة، لأن الإسلام لم يشترط شكل المسجد للصلاة كما قال النبي ﷺ -:(وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)[1]

وأكد مقدموا البلاغ أنهم مع حق كل إنسان في عبادته، ويكون ذلك بتطبيق الميثاق العالمي المعروف باسم الحق في العبادة الذي يؤسس الحق في دور العبادة على الكثافة السكانية، «أمّا اختراع مجلس الوزراء فهو يزيد الفتن، ويشعل مصر، ويجامل مجاملة خارج كل قواعد للعدالة عرفتها البشرية.

وطالبوا أيضاً بحتمية خضوع تمويل الكنائس من الداخل، والخارج لرقابة الدولة كما يخضع تمويل المساجد، مؤكدين أن النصارى في مصر رحبوا بالقانون إلا في نقطة واحدة جعلت البعض يحارب بكل طريق، وأسلوب، ويلجأ للضغوط الخارجية لمنع الاطلاع على مصادر أموال الكنيسة، والتبرعات الخارجية المجهولة المصادر، والأغراض التي تصرف فيها، والمخصصة لصرفها داخل، وخارج مصر.

وأشاروا إلى أن تمرير هذه النقطة يؤسس اعتراف للكنيسة بدولة مستقلة

(١)رواه البخاري برقم٤٣٨.

كالفاتيكان بإيطاليا، ولكن بمظهر آخر غير معروف في العالم إلا في عصور هيمنة الكنيسة على الدولة وهو أن يمتد سلطان الكنيسة بطول مصر، وعرضها على كل كنيسة، ودير، ومبنى إدارى مبنى حالياً، ومستقبلا.

لكنهم أكدوا أن دولة الفاتيكان تنحصر في مساحة محددة داخل مدينة روما الإيطالية فقط، ولا يمتد سلطانها الإداري سنتيمتر واحد خارج أسوارها في مساحة لا تزيد على ١٠٠ فدان بالملحقات ضاربين المثل بدير أبو مقار البالغ مساحته ٢٧٠٠ فدان، ودير أبو فانا ٦٠٠ فدان، ودير مارمينا ٦٠٠ فدان وغيره من عشرات الأديرة وكل الكنائس لا سلطان للدولة عليها.

وطالب البلاغ بإيجاد سلطان دولة القانون على الجميع، معبراً عن تأييده حق الجميع في العبادة باطمئنان، معتبراً أن هذا التشريع يؤجج الطائفية، ويجامل، ولا يهتم إلا بطائفة على حساب غالبية الشعب المسلم[١].

* وفي رد فعل لا يقل عن سابقه فجر المستشار حسين أبو عيسي- المحامي بالنقض، والمستشار السابق بالمحاكم العسكرية- مفاجأة من العيار الثقيل عندما نشر دراسة حديثة أعدها عن وضع المساجد، والكنائس في مصر، وأوضح المستشار المصري، وفق صحيفة «المصريون» الإلكترونية[٢]: «إن صدور قانون دور العبادة الموحد الذي تطالب الكنيسة بسرعة إقراره لن يحقق مطالب الأقباط، بل إنه قد يتسبب في إلغاء تراخيص العديد من الكنائس، أو وقف أعمال البناء في كنائس أخرى، ما قد يزيد من حدة التوتر، والاحتقان الطائفي في مصر.

وأضاف إن عقلاء الأقباط يدركون هذه الحقيقة تماماً بعيداً عن التعصب الطائفي، ويدركون أن قانون دور العبادة الموحد سينصف المسلمين المحرومين من بناء المساجد، وسيفتح الباب علي مصراعيه للطوائف الأجنبية «البروتستينية،

(١)اليوم السابع: الأربعاء، ٨ يونيو ٢٠١١م.

(٢)نشرت هذه الدراسة على العشرات من مواقع الإنترنت.

والكاثوليكية، والإنجيلية، والسبتية» لتطالب بحقها هي الأخرى في دور العبادة، طبقاً للقانون الجديد، بل وأكثر من هذا، توقع أن يأتي القانون في مصلحة طوائف جديدة، مثل الأنبا ماكسيموس الذي لم يحصل على تصريح كنيسة حتى الآن.

وأضاف إن مشروع قانون دور العبادة الموحد يحدد بناء دور العبادة الإسلامية، والمسيحية، واليهودية بما يتناسب مع عدد السكان، وطبقا للاعتبارات، والمواثيق الدولية التي تنص على الحق في العبادة، فإن المصلي المسلم، أو المسيحي يحتاج إلى مساحة 46 سم كحد أدني، أو 100 سم كحد أقصي لأداء الشعائر الدينية الخاصة به، سواء كانت في المسجد، أو الكنيسة. وأشار إلى أنه طبقاً لميثاق «الحق في العبادة» بالأمم المتحدة فإنه سيكون هناك حاجة إلى مساحة إجمالية قدرها 36 مليون و800 ألف متر مربع كحد أدنى و 80 مليون متر مربع كحد أقصى تخصص كمكان يتعبد فيه 80 مليون مواطن مصري مسلم، ومسيحي، باعتبار أن جميعهم يؤدون الصلوات، والشعائر الدينية في دور العبادة.

وقال استنادًا إلى ذلك، فإن مسلمي مصر البالغ عددهم 72 مليون نسمة يحتاجون إلى مساحة تقدر بنحو 33 مليون و 20ألف متر كحد أدني و 72مليون متر كحد أقصي، في المقابل يحتاج الأقباط البالغ عددهم8مليون[1]قبطي- طبقا لتقديرات الأمم المتحدة - إلى مساحة 3 مليون ٦٨٠ ألف متر كحد أدني و 8 مليون متر كحد أقصى.

وذكر أنه انطلاقاً من مبادئ الأمم المتحدة فإنه لا ينبغي أن تقل أو تزيد مساحة المساجد، أو الكنائس، والأديرة عن المساحات السابقة، حتى لا يكون هناك ظلم لطائفة على حساب أخرى وهو نفس المبدأ الذي يستند إليه قانون دور العبادة

(١)هذا على فرض أن النصارى في مصر٨ مليون!!!! لكن التقديرات المنصفة تثبت أن النصارى في مصر لا يتجاوزون نسبة٥٪، فإذا كان عدد سكان مصر ٨٠ مليون نسمة فإن عدد النصارى ٤ مليون نسمة.

الموحد الذي يعتمد على إحصائية رسمية بعدد، ومساحات المساجد، والكنائس لمعرفة نسبة الزيادة والعجز لدى كل طرف.

وأوضح أن الإحصائيات الرسمية تشير إلى أن عدد الكنائس المقامة في مصر تبلغ في الوقت الحالي نحو ٣١٢٦ كنيسة تضاعفت خلال الفترة من عام ١٩٧٢ وحتى عام ١٩٩٦ إلى الضعف تقريباً.

إذ أن عدد الكنائس في عام ١٩٧٢ كان يبلغ نحو ١٤٤٢ كنيسة معظمها بدون تراخيص، وكانت نسبة الحاصلة على ترخيص، والمسجلة لدى وزارة الداخلية ٥٠٠ كنيسة فقط، منها ٢٨٦ كنيسة أرثوذكسية، والباقي للطوائف الأجنبية .

وارتفعت في عام ١٩٩٦ لتصل إلى نحو ٢٤٠٠ كنيسة، ذلك بناء على إحصائية رسمية للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، بزيادة قدرها ١٠٠٠ كنيسة تقريباً بواقع ٤٠ كنيسة سنوياً تم بناؤها خلال ٢٥ عامًا .

وزاد عدد الكنائس في نهاية ٢٠٠٦ - أي بعد عشر سنوات- إلى نحو ٢٦٢٦ كنيسة رسمية، من بينها ١٣٢٦ كنيسة أرثوذكسية و١١٠٠ كنيسة بروتستانتية و٢٠٠ كنيسة كاثوليكية موزعة على محافظات الجمهورية علي النحو التالي: ١٨٣ كنيسة أرثوذكسية بالقاهرة، ٨٢ كنيسة بالجيزة، ٦٦ كنيسة بالإسكندرية، ٦٧ كنيسة بالغربية، 60 كنيسة بالمنيا، ٢٠ ببورسعيد، ٨ بالسويس، ٨ بدمياط، ٣٢ بالدقهلية، ٤٣ بالشرقية، 37 بالقليوبية، ١١ بكفر الشيخ، ٣٥ بالمنوفية، ٣٥ بالبحيرة، ١٥ بالإسماعيلية، ٥٠ ببني سويف، ٣٧ بالفيوم، ١٧٨ بالمنيا، ٤٢٥ بأسيوط، ٢٦٠ بسوهاج، ٨٠ بقنا، ٢٦ بأسوان، 9 بالأقصر، كنيستان بالبحر الأحمر، كنيسة واحدة بالوادي الجديد، كنيستان بمرسى مطروح، كنيستان بشمال سيناء، كنيستان بجنوب سيناء، بالإضافة إلى بعض الكنائس الغربية التي تخص الطوائف غير الأرثوذكسية الشرقية.

بالإضافة إلى ذلك يوجد أكثر من ٥٠٠ كنيسة بدون ترخيص تعمل تحت غطاء

«جمعية قبطية» يتم إشهارها بوزارة التضامن الاجتماعي، وبالتالي يصبح إجمالي عدد الكنائس ٣١٢٦ كنيسة، بالإضافة إلي عشرات الأديرة المنتشرة في ربوع المحافظات المصرية، والتي تتسع لنحو ٢٤ مليون مصلي قبطي، حسب التقديرات الكنسية.

وأكبر الأديرة هو دير أبو مقار، الذي تبلغ مساحته نحو ٢٧٠٠ فدان، أي ما يعادل ١١٣٤٠٠٠٠ متر مربع تقريباً، ويتسع لنحو ١١ مليون و٣٤٠ ألف مصل كحد أدني و ٢٣,٩ مليون مصلي كحد أقصي، طبقا للاعتبارات الأمنية التي تنص علي أن حق الفرد ٠,٤٦ متر مربع للتعبد كحد أدنى، أي أنه يزيد عن عدد الأقباط في مصر.

ويمقارنة دير أبو مقار بأكبر المساجد الإسلامية في العالم وهو الحرم المكي الشريف الذي تصل مساحته نحو ٣٥٦٠٠٠ متر مربع ويتسع لنحو ٧٧٣٠٠٠ مصلى، باعتبار أن المصلى لا يتحصل في المسجد الحرام إلا علي الحد الأدنى لمكان العبادة وهو ٠,٤٦ م، تكون مساحة الدير أكبر منه بما يزيد على أكثر من ١٥ ضعفًا.

أما ثاني أكبر الأديرة فهو دير أبو فانا بالمنيا الذي تبلغ مساحته نحو ٦٠٠ فدان أي ما يعادل 520000 متر مربع وهذه المساحة تكفى ٢,٥ مليون مصل كحد أدنى و ٥,٥ مليون مصل كحد أقصى بنفس الحسبة السابقة.

أما مساحة دير ماري مينا، فتعادل تقريبًا نفس مساحة دير أبو فانا حيث تبلغ نحو ٦٠٠ فدان تقريبا بما يعادل ٢٥٢٠٠٠٠ متر مربع، وهذه المساحة تكفى ٢,٥ مليون مصل كحد أدنى و٥,٥ مليون مصل كحد أقصى .

ويعني ذلك، أن مساحة أكبر ثلاثة أديرة في مصر تبلغ نحو ٣٩٠٠ فدان أي ما يعادل ١٦٣٨٠٠٠٠ مليون متر مربع، تكفي مساحتها لـ ١٦ مليون و٣٨٠ ألف مصل قبطي كحد أدني، أي ضعف عدد الأقباط في مصر و ٣٤,٩ مليون مصل قبطي كحد أقصى[1].

(١)هذه الإحصائيات والصور مبثوثة عبر عشرات المواقع على شبكة الإنترنت.

فضلاً عن عشرات الأديرة المنتشرة في المحافظات المصرية، وأبرزها أديرة سوهاج، وتضم دير الأنبا شنودة الذي تبلغ مساحته ٢٧٧٥ متراً مربعاً، ودير الأنب بيجول ١٠٠٠ متر، ودير الأنبا شنودة الشرقي، ودير الأنبا توماس ١٠٠٠ متر، ودير الأمير تاوضروس، ودير القديسة، ودير الملاك ميخائيل الذي يضم خمس مذابح، وبها خنادق، ومغارة صغيرة تحت الأرض باسم القديس الأنبا بيشوى، ودير الشهداء، ودير السيدة العذراء، ودير الأنبا بيجول، ودير مارجرجس – الحديدي، ودير الملاك، فضلاً عن أديرة أسيوط وتضم دير العذراء، المحرق، العذراء، درنكة، العذراء، الجنادلة، الأمير تادرس، تليها أديرة المنيا، وتضم دير العذراء، جبل الطور، ثم أديرة بني سويف، وتضم دير العذراء، الحمام، العذراء، بياض، الأنبا بولا، بوش، الأنبا أنطونيوس، الميمون، مارجرجس، سيدمنت، تليها أديرة الفيوم، وتضم دير الأنبا إبرام، الملاك غبريال، ثم أديرة البحر الأحمر وتضم دير الأنبا بولا، الأنبا أنطونيوس، أما أديرة وادي النطرون فتشمل دير الأنبا بيشوى، والسريان، والبراموس، والأنبا مقار، ومارمينا بالإسكندرية .

أما أديرة الراهبات، فأبرزها ماري جرجس، وأبي سيفين بمصر القديمة، والأمير تادرس بحارة الروم، وماري جرجس زويلة، والعذراء بحارة زويلة، ودير المعلقة بمدينة مصر، وغيرها من الأديرة، فضلا عن ١٤ أسقفية «الإيبرشيات» منتشرة في معظم محافظات الجمهورية .

أما بالنسبة لعدد المساجد، فإنها تبلغ طبقاً للإحصاءات الرسمية الصادرة عن وزارة الأوقاف والجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء ٩٢,٦٠٠ مسجداً، منها ٦٤٦٧٦ مسجداً تحت ولاية وزارة الأوقاف، والباقي ما بين مساجد أهلية، وزوايا لا تتعدي مساحتها عن ١٠٠ متر مقسمة على 72 مليون مسلم، وتبلغ مساحة أكبر مسجد في مصر، وهو مسجد عمرو بن العاص نحو ١٣٨٠٠ متراً، ويليه الأزهر الشريف الذي تبلغ مساحته ١٢٠٠٠ متر.

ويتراوح متوسط مساحة المساجد في مصر ما بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ متر كحد أقصى، وبما أن نسبة تعداد المسلمين تزيد على نسبة تعداد الأقباط بتسعة أضعاف (١ مقابل ٩٪) فمن المفترض أن يصبح عدد، ومساحة المساجد تسعة أضعاف الكنائس والأديرة، لكن الأرقام تؤكد أن نسبة الكنائس إلى المساجد في مصر هي فقط ٠١٥ , ٣٪، أي أن هناك عجزًا في المساجد يصل إلى ٦ ٪تقريباً.

وعلى افتراض أن عدد المساجد في مصر هو ٦٠٠ , ٩٢ مسجد أي بمتوسط ٤٦ مليون متر تقريباً، فإنه وطبقاً لميثاق الأمم المتحدة فإن مسلمي مصر يحتاجون مساجد للعبادة تتراوح مساحتها ما بين٣٣ مليون و١٢٠ ألف متر كحد أدنى و٧٢ مليون متر كحد أقصى بمتوسط ٤٨ مليون متر تقريباً، أي أن المسلمين لديهم عجز في المساحات المخصصة للمساجد يتراوح ما بين ٢ مليون متر و٢٦ مليون متر مكعب تقريباً، أي ما يعادل٥٢ ألف مسجد تقريبا مساحة المسجد٥٠٠ متر.

والسؤال هل يعرف أقباط المهجر هذه الحقيقة؟ وهل يراعي ترزية القوانين هذه الدراسة قبل الإقدام على مشروع بهذه الخطورة؟.

عدم استخدام الألفاظ المنفرة للآخر

ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، ولذا قال-تعالى-: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[1]. وقد أمر الله – تعالى- رسوله أن يخاطب عدوه فرعون خطاباً ليناً هادئاً فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

وأمر الله تعالى المسلمين أن تكون محاوراتهم، ومجادلاتهم لأهل الكتاب بالتي هي أحسن فقال: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا

(١)(الإسراء/ ٥٣).

(٢)(طه/ ٤٤).

﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[1]

ويكمن الرفق في التعامل مع الآخر اختيار الكلمات التي لا تسئ إليهم بحال فالبعد عن الأدعية الاستفزازية فليس من الحكمة، ولا من الموعظة الحسنة، ولا من الجدال بالتي هي أحسن :اتخاذ الأدعية الاستفزازية في صلوات الجمع، وفي قنوت النوازل وغيرها، فبعض الوعاظ، والخطباء يدعون الله تعالى :أن يهلك اليهود، والنصارى جميعاً، وأن ييتم أطفالهم، ويرمل نساءهم، ويجعلهم، وأموالهم، وأولادهم غنيمة للمسلمين!.

ومن المعلوم أن في كثير من بلاد المسلمين توجد أقليات من النصارى- وربما من اليهود وهم مواطنون يشاركون المسلمين في المواطنة، وليس من اللائق أن ندعو بدعوة تشمل هؤلاء بالهلاك، والدمار.إنما اللائق: أن ندعوا على اليهود الغاصبين المعتدين، وأن ندعو على الصليبيين الحاقدين الظالمين، لا على كل اليهود، والنصارى[2].

أن تتبرأ المؤسسات الدينية من دعاة الفكر المتطرف

مهم جداً أن تعلن المؤسسات الدينية الرسمية عند المسلمين ممثلة في: الأزهر، والأوقاف، ومجمع البحوث الإسلامية، وكذا المؤسسات الرسمية في النصرانية ممثلة في رأس الكنيسة: الأرثوذكسية، والبروتستانتية، والكاثوليكية البراءة صراحة من دعاة الفكر المتطرف، والمحرض.

فكما قام العديد من العلماء بالرد على التكفيريين، وجماعات العنف في مآت الكتب، والمحاضرات بما كان له مردود طيب في القضاء على هذا الفكر بصورة كبيرة يجب أيضاً على المؤسسة الدينية ممثلة في الكنائس(الأرثوذكسية – الكاثوليكية

(١)(العنكبوت/ ٤٦).

(٢)يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص (٤٢).

– البروتستانتية) من إعلان البراءة من كل صاحب فكر منحرف يسئ إلى الإسلام، ورموزه، وإصدار قوانين شلح بحق هؤلاء، وعلى رأسهم زكريا بطرس الذي يتطاول يومياً على الإسلام، ورسوله، وكتابه بصورة فجة.

ففي رده على سؤال لماذا لا يوقف البابا شنودة القمص زكريا بطرس؟ قال الدكتور نبيل لوقا بباوي :لابد أن نعرف عن قرب خط سير القمص زكريا بطرس في الكنيسة الأرثوذكسية بمصر فالقمص زكريا بطرس كان راعي إحدى الكنائس التي تتبع محافظة الغربية علي حد علمي، وكان يتمتع بقدرة عالية في الوعظ بطريقة مسرحية في خفض صوته، وتعلية صوته وكان موهوباً في الوعظ، ومؤثراً علي المتلقي بقدرته المسرحية في الوعظ، وبثقافته اللاهوتية، وامتلاكه مفردات اللغة لذلك كانت تطلبه الكثير من الكنائس المختلفة في المحافظات، وأخيراً نقل إلي كنيسة ماري مرقص الرسول بمصر الجديدة وهي المشهورة بكنيسة كيلوباترا، وذاع صيته في هذه الكنيسة، ولكن شخصية القمص زكريا بطرس أنه يحب الشهرة بدرجة مغالي فيها، ولا يريد أن يكون كاهناً عادياً مثل كل الكهنة، اختصاصه الرعاية الكنسية فقط، وحباً في الشهرة قام بإنشاء، وخلق نظرية جديدة في المسيحية اسمها الخلاص في لحظة، وبدأ ينادي بها في عظاته في الكنائس، ولكن قداسة البابا شنودة اعتبر هذه النظرية مخالفة لتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، وأنها هرطقة في الديانة المسيحية لذلك قام بشلحه، وفصله من خدمة الكنيسة ولكنه باتفاقه مع سيدة ثرية في مصر الجديدة قام باستحضار أكثر من عشرين أتوبيساً كبيراً، وملأها بالمسيحيين من كنيسة ماري مرقص بمصر الجديدة، وتوجهوا بها إلي الكاتدرائية بالعباسية للمطالبة بعودة القمص المشلوح زكريا بطرس، وأمام رجاء الجماهير، وقد كنت في ذلك الوقت نائبا لمأمور قسم شرطة الوايلي الذي تتبعه الكاتدرائية وقد توجهت ومعي المرحوم قسيس موسي سليمان! وكان من أثرياء الأقباط لمقابلة قداسة البابا شنودة لرجائه بأن يعفو عن القمص زكريا بطرس، واشترط قداسة

البابا شنودة أن يرجع عن نظرية الخلاص في لحظة، ولا يرددها في عظاته، ووافق القمص زكريا بطرس بعد الاتصال به، وقدم اعتذاره لقداسة البابا شنودة، ووعده بالكف عن ترديد هذه الهرطقة، والبدعة.

ورغبة من القمص زكريا في الشهرة بدأ في اللجوء إلي أسلوب إخراج الشياطين من أجسام المرضى، ورغبة منه في الشهرة خلق الكثير من المشاكل بسبب رغبته، وسعيه لتنصير بعض المسلمين، وحدثت بينه وبين قداسة البابا شنودة كثير من الخلافات بسبب تصرفاته فنقله إلي إحدى الكنائس باستراليا، وأحدث بعض المشاكل في أستراليا فنقله البابا شنودة إلى لندن، وأثناء وجوده في لندن تقدم منذ عدة أعوام باستقالته من الخدمة في الكنيسة الأرثوذكسية، وقد قبل قداسة البابا شنودة الاستقالة فلا يوجد للبابا شنودة أي سلطة علي القمص زكريا بطرس من قريب، أو بعيد هذا بالإضافة إلي أنه كان دائم الخلاف مع قداسة البابا شنودة مما جعل قداسة البابا شنودة ينقله خارج مصر للخدمة في الخارج، رغم أنه يقيم مع زوجته، وأولاده في مصر الجديدة. وقد سأل أحد الصحفيين البابا شنودة عن ظاهرة القمص زكريا بطرس فقال : إنه لا يؤيد تصرفاته، أو أسلوبه، وأنه لم يعد قسيساً في الكنيسة الأرثوذكسية، ولعلي بذلك أكون قد أجبت علي السؤال لماذا لا يوقف قداسة البابا شنودة القمص زكريا بطرس، والإجابة أنه ليس قسيسا الآن حتى يوقفه.

قلت: كلام الدكتور نبيل لوقا جميل...ولكن مازال زكريا بطرس ينتمي، ويفاخر بالانتماء للكنيسة الأرثوذكسي، ومعنى هذا أنه يا دكتور يعترف بتعاليم، ورئاسة البابا!.

ودعني يا دكتور نبيل أنقل لك كلاماً للبابا شنوده ينسف ما قلته دفاعاً عن موقفه من زكريا بطرس فقد أجرى الإعلامي عمرو أديب مقدم برنامج «القاهرة اليوم» بقناة أوربت الفضائية لقاء مع البابا بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد[1]، وكان

(١)حلقة الثلاثاء٥ يناير ٢٠١٠م.

من ضمن الأسئلة التي وجهها للبابا عن إساءة قساوسة في المهجر للإسلام، وبخاصة القمص زكريا بطرس، فقال:« لا يوجد قساوسة يهاجمون الإسلام في مصر.. أما في الخارج فليس لنا حكماً عليهم.. وفى حالة شلح أحدهم سيطالب المسيحيون المسلمين بالمثل.. فهناك عشرات المسلمين يهاجمون المسيحية في كتب، ومجلات مطبوعة.. وما أسهل أن يقول أحد المسلمين إن الإنجيل كتاب سماوي محرف.. وأنا بصراحة لا أستطيع أن أقدم على هذه الخطوة فإذا لم يتكلم أحد ضدي فهناك من سيفكر ضدي.. لا تعتقد أن منع الناس من الكلام يمنعهم من الفكر..على الأقل سيقولون : إني تهاونت في حقهم عندما أعاقب الكاهن زكريا بطرس، وأترك المسلمين يهاجمون المسيحيين.

وأكد شنودة عدم معرفته بإساءة الكاهن بطرس للإسلام، مشدداً: « نحن لا نقبل الإساءة للمسلمين»، مستبعداً أن يوقف بيان منه هجوم بطرس على الإسلام، مشيراً إلى أن أيمن الظواهري على سبيل المثال وهو طبيب مصري به الذكاء المصري، والانتماء للقاعدة..ماذا تستطيع مصر أن تفعل حياله؟.

وليسمح لي البابا شنوده أن أقف مع كلامه الهادئ بهدوء لا يقل عنه: أولاً: إن الكفر هو نقيض الإيمان فكل مؤمن بشئ هو بالضرورة كافر، وجاحد، ومنكر لتقيض هذا الشيء، فالمؤمن بالتثليث كافر بالتوحيد.. والمؤمن بالتوحيد كافر، ومنكر للتثليث.. والمؤمن بأن عزيراً- عزرا- عبدالله كافر، ومنكر لعقيدة أن عزيراً ابن الله- والعكس صحيح-..والمؤمن بأن عيسى عبدالله، ورسوله منكر، وجاحد، وكافر بأن عيسى ابن الله وإله- والعكس صحيح-.. والمنكر لكون القرآن وحياً إلهياً، ولكون محمدﷺ - نبياً ورسولاً كافر بالإسلام ديناً سماوياً.

وكذلك الحال في ميدان المذاهب، والفلسفات و« الأيديولوجيات» فالمؤمن بالفاشية، والنازية كافر بالديمقراطية- والعكس صحيح- والمؤمن بالشيوعية هو كافر بنقيضه، أي أن كل إنسان- من غير اللاأدريين- في الحقيقة- مؤمن، وكافر في

ذات الوقت.. فالكفر ليس سبة، ولا نقيصة بإطلاق، وتعميم، ولكن المعيار هو كفر بماذا؟...وكذلك الإيمان ليس ميزة إيجابية بإطلاق، وتعميم، وإنما العبرة فيه هي:الإيمان بماذا؟.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة التي يجهلها البعض، ويتجاهلها الكثيرون عندما صور الإيمان، والكفر وجهين لعملة واحدة فقال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[1] فكل مؤمن بالله

الواحد الأحد هو كافر بالطاغوت، والطواغيت – والعكس صحيح-. فأين التهمة إذن في أن يصف المسلمون من يكفرون بالإسلام ديناً سماوياً، وبالقرآن وحياً إلهياً، وبمحمد بن عبدالله نبياً، ورسولاً في عداد الكافرين بهذا الذي هم به كافرون، وله منكرون، وجاحدون؟!..

وألا يصنِّف المؤمنون بالتثليث أهل التوحيد الخالص- المنكر للتعدد، والحلول والاتحاد- في عداد الكافرين بهذا التثيث؟ بل، وألا تعتبر المذاهب النصرانية الكبرى الأرثوذكسية.. والكاثوليكية.. والبروتستانتية- فضلاً عن الآريوسية لها في قانون الإيمان كافراً بهذا «القانون»- الذي هو جوهر، وجماع أصول الاعتقاد- داخلاً في «الحرمان الديني» الذي هو الكفر، والتكفير؟!.

لقد رفض قساوسة دير سانت كاترين – بسيناء- وهو من الروم الأرثوذكس- أن يصلي بابا الفاتيكان، والحبر الأعظم للكاثوليكية- يوحنا بولس الثاني- داخل الدير- عند زيارته له في فبراير سنة ٢٠٠٢م لأنه- في نظرهم-غير مؤمن حسب مقاييسهم للإيمان.. وما هي إلا شهور معدودة حتى صدر عن الفاتيكان أن هذا هو الموقف الطبيعي، والمتبع بين كنائس النصرانية فصدر في سبتمبر سنة٢٠٠٠م القرار

(١)(البقرة/ ٢٥٦).

الذي يؤكد، ويعلن أن الكنائس غير الكاثوليكية ليست كنائس بالمعنى الصحيح وأن الخلاص في اليوم الآخر محصور في الكنيسة الكاثوليكية وحدها[1].

ولماذا نذهب بعيد فالبابا يذكر جيداً الوثيقة الكاثوليكية التي وقعها بابا روما (بنديكت السادس عشر) في٢٩ يونيو٢٠٠٧م التي وصفت البروتستانت والإنجليكان بأنهم ليسوا كنائس، وقالت عن الأرثوذكس إن كنائسهم معيبة. الأمر الذي أغضب البابا شنودة، فكتب في جريدة الأهرام ١٤/ ٧/ ٢٠٠٧م تحت عنوان : بنديكت جرح المسيح والمسيحيين، وخسر كل المسلمين قال فيه :إن تصريحات البابا جرحت المسيحيين، وأنا متعجب من تصريحات (بنديكت) التي يخسر بها في كل مرة، فقد خسر من قبل كل المسلمين.

ورداً على سؤال : ماذا وراء صدور مثل هذه الوثيقة، وفي هذا التوقيت، وما هو الهدف منها؟. قال شنودة:«الاعتزاز بالشخصية الكاثوليكية كما لو كانوا هم المسيحيين الوحيدين في العالم كله، وإن كانت الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أنها الكنيسة الوحيدة فلا داعي أن تجرح شعور الآخرين، ونحن لسنا ضد اعتزاز الكاثوليك بكنيستهم، لكن ليس معني ذلك أن كل كنيسة لا تنضم إليهم هي ليست كنيسة، فقد قالوا في هذه الوثيقة إن الأرثوذكس كنائس حقيقية لكنها Defeetive معيبة، أو تعاني من نقصان؛ لأنها لا تؤمن برئاسة البابا- يقصدون بابا الفاتيكان-، ورئاسة بابا الفاتيكان لكل كنائس العالم لا تتفق مع تعاليم المسيح نفسه؛ لأن تلاميذ المسيح تصارعوا بينهم، وبين أنفسهم بسبب من يكون فيهم الأول، فالمسيح قال لهم من أراد فيكم أن يكون أولاً فليكن آخر الكل، ومن أراد أن يكون سيداً فليكن عبداً، وخادماً للكل، ففكرة أن يكون واحداً مسيطراً على الكل فكره المسيح نفسه لم يوافق عليها، لكن الكاثوليك يريدون أن يقولوا: إن (بطرس الرسول) أحد تلاميذ المسيح هو رئيس الرسل، وإن بطرس أسس كنيسة روما،

(١)محمد السماك :الفاتيكان والإيمان المختلف، الأهرام٢٠/ ٩/ ٢٠٠٢م.

وبذلك تصبح روما رئيسة الكنائس، والكتاب المقدس لا يقول إطلاقاً أن (بطرس) أسس كنيسة روما إطلاقاً، الواضح في الكتاب المقدس أن الذي أسس كنيسة روما هو (بولس الرسول)، وآخر سفر أعمال الرسل يقال فيها أن (بولس) أسس كنيسة روما، وبولس في رسالته لكنيسة روما قال أنا وضعت مبدأ لنفسي أنني لا أكرز (أبشر) حيث يعرف اسم المسيح فإذن عندما ذهب إلي روما لم يكن يعرف اسم المسيح، وبالتالي هو الذي أسس كنيسة روما؛ لأنه أول من بدأ الكرازة، أو التبشير باسم المسيح هناك»[1].

هذا موقف الطوائف النصرانية من بعضها، ناهيكم عن موقف كل الكنائس من الإسلام، والمسلمين.. فهم- فضلاً عن تكفير المسلمين، لجحدهم الإسلام كدين، وكفرهم بالقرآن وحياً إلهياً وبمحمدﷺ - نبياً، ورسولاً- يمارسون، ويعلنون كفر، وتكفير بعضهم البعض داخل النصرانية الواحدة[2].

إذن هناك فرق كبير بين الإساءة، وبين تقرير واقع تفرضه الأديان، فلو سألت أي نصراني فضلاً عن البابا ما قولك في معتقد المسلمين، وكتابهم، ونبيهم، ومن مات منهم دون الإيمان بالآب، والابن، والروح القدس فماذا سيجيب؟.

سيجيبك أن المسلمين لا يشملهم الخلاص في الآخرة، وأن كتابهم ليس وحياً كما يزعمون، وهو تزوير، وانتحال من علماء أهل الكتاب، ومن كتابهم المقدس أما رسول الإسلام فهو... أليس كذلك؟. ولو سألت أي مسلم عن الكتاب المقدس يجيبك بما قاله الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[3].

---

(١)البابا شنودة للأهرام: بندكت جرح المسيح والمسيحيين وخسر كل المسلمين لست ضد تعديل لائحة انتخاب البابا، انظر جريدة الأهرام١٤/ ٧/ ٢٠٠٧م السنة١٣١ العدد ٤٤٠٤٩؛ وانظر للمؤلف: قطوف الجنان في الرد عل بابا الفاتيكان، يسر الله نشه.

(٢)د. محمد عمارة:الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، ص٥: ٧.

(٣)(البقرة:٧٩).

الذي يؤكد، ويعلن أن الكنائس غير الكاثوليكية ليست كنائس بالمعنى الصحيح وأن الخلاص في اليوم الآخر محصور في الكنيسة الكاثوليكية وحدها[1].

ولماذا نذهب بعيد فالبابا يذكر جيداً الوثيقة الكاثوليكية التي وقعها بابا روما (بنديكت السادس عشر) في٢٩ يونيو٢٠٠٧م التي وصفت البروتستانت والإنجليكان بأنهم ليسوا كنائس، وقالت عن الأرثوذكس إن كنائسهم معيبة. الأمر الذي أغضب البابا شنودة، فكتب في جريدة الأهرام ١٤/ ٧/ ٢٠٠٧م تحت عنوان : بنديكت جرح المسيح والمسيحيين، وخسر كل المسلمين قال فيه :إن تصريحات البابا جرحت المسيحيين، وأنا متعجب من تصريحات (بنديكت) التي يخسر بها في كل مرة، فقد خسر من قبل كل المسلمين.

ورداً على سؤال : ماذا وراء صدور مثل هذه الوثيقة، وفي هذا التوقيت، وما هو الهدف منها؟. قال شنودة:«الاعتزاز بالشخصية الكاثوليكية كما لو كانوا هم المسيحيين الوحيدين في العالم كله، وإن كانت الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أنها الكنيسة الوحيدة فلا داعي أن تجرح شعور الآخرين، ونحن لسنا ضد اعتزاز الكاثوليك بكنيستهم، لكن ليس معني ذلك أن كل كنيسة لا تنضم إليهم هي ليست كنيسة، فقد قالوا في هذه الوثيقة إن الأرثوذكس كنائس حقيقية لكنها Defeetive معيبة، أو تعاني من نقصان؛ لأنها لا تؤمن برئاسة البابا- يقصدون بابا الفاتيكان-، ورئاسة بابا الفاتيكان لكل كنائس العالم لا تتفق مع تعاليم المسيح نفسه؛ لأن تلاميذ المسيح تصارعوا بينهم، وبين أنفسهم بسبب من يكون فيهم الأول، فالمسيح قال لهم من أراد فيكم أن يكون أولاً فليكن آخر الكل، ومن أراد أن يكون سيداً فليكن عبداً، وخادماً للكل، ففكرة أن يكون واحداً مسيطراً علي الكل فكره المسيح نفسه لم يوافق عليها، لكن الكاثوليك يريدون أن يقولوا: إن (بطرس الرسول) أحد تلاميذ المسيح هو رئيس الرسل، وإن بطرس أسس كنيسة روما،

(١)محمد السماك :الفاتيكان والإيمان المختلف، الأهرام٢٠/ ٩/ ٢٠٠٢م.

وبذلك تصبح روما رئيسة الكنائس، والكتاب المقدس لا يقول إطلاقاً أن (بطرس) أسس كنيسة روما إطلاقاً، الواضح في الكتاب المقدس أن الذي أسس كنيسة روما هو (بولس الرسول)، وآخر سفر أعمال الرسل يقال فيها أن (بولس) أسس كنيسة روما، وبولس في رسالته لكنيسة روما قال أنا وضعت مبدأ لنفسي أنني لا أكرز (أبشر) حيث يعرف اسم المسيح فإذن عندما ذهب إلي روما لم يكن يعرف اسم المسيح، وبالتالي هو الذي أسس كنيسة روما؛ لأنه أول من بدأ الكرازة، أو التبشير باسم المسيح هناك»[1].

هذا موقف الطوائف النصرانية من بعضها، ناهيكم عن موقف كل الكنائس من الإسلام، والمسلمين.. فهم- فضلاً عن تكفير المسلمين، لجحدهم الإسلام كدين، وكفرهم بالقرآن وحياً إلهياً وبمحمدﷺ - نبياً، ورسولاً- يمارسون، ويعلنون كفر، وتكفير بعضهم البعض داخل النصرانية الواحدة[2].

إذن هناك فرق كبير بين الإساءة، وبين تقرير واقع تفرضه الأديان، فلو سألت أي نصراني فضلاً عن البابا ما قولك في معتقد المسلمين، وكتابهم، ونبيهم، ومن مات منهم دون الإيمان بالآب، والابن، والروح القدس فماذا سيجيب؟.

سيجيبك أن المسلمين لا يشملهم اخلاص في الآخرة، وأن كتابهم ليس وحياً كما يزعمون، وهو تزوير، وانتحال من علماء أهل الكتاب، ومن كتابهم المقدس أما رسول الإسلام فهو... أليس كذلك؟. ولو سألت أي مسلم عن الكتاب المقدس يجيبك بما قاله الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

---

(١)البابا شنودة للأهرام: بندكت جرح المسيح والمسيحيين وخسر كل المسلمين لست ضد تعديل لائحة انتخاب البابا، انظر جريدة الأهرام١٤/ ٧/ ٢٠٠٧م السنة١٣١ العدد ٤٤٠٤٩؛ وانظر للمؤلف: قطوف الجنان في الرد على بابا الفاتيكان، يسر الله نشه.

(٢)د. محمد عمارة:الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، ص٥: ٧.

(٣)(البقرة:٧٩).

فما نعتقده أن الكتب السابقة حدث به نوع تغيير، وتحريف، وتبديل، ومع ذلك فبها بقايا من حق لذا نحن مأمورون فيما يحدثنا به أهل الكتاب أن لا نصدق إلا بما نعلم أنه الحق، كما لا نكذب إلا بما نعلم أنه باطل. فمن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ:(كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -:(لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا:آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[1].

* أما عن عقيدة التثليث (الآب، والابن، والروح القدس) فالإسلام يرفضها قولاً واحداً لقول الله – تعالى-: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[2].

* وأما عقيدة الصلب، والقتل فالقرآن ينفيها نفياً قاطعاً، قال – تعالى- في رده على اليهود: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾[3].

إن القرآن قد أثبت كفر النصارى بنصوص قطعية الدلالة منها قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ

(١)أخرجه البخاري رقم٤٢١٥.

(٢)(النساء/ ١٧١).

(٣)(النساء/ ١٥٧).

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[3].

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ- أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[4].

هذه عقيدة لا يمكن التنازل عنها، ولا التفاوض فيها بالنسبة للمسلمين والنصارى، أم أن البابا يرى أن نقول إن كتابه المقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وأنه محفوظ من التحريف، والتبديل، والتغيير، وأن الأقانيم الثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس آله حقيقية، وأن المسيح صلب، وقتل تكفيراً لخطايا البشر، وأن النصارى من الموحدين، وأنهم سيدخلون جنة النعيم!!! ونضرب بالقرآن، والسنة عرض الحائط حتى لا يتهمنا أحد بامتهان عقيدة الآخر؟!!!.

* إن تقرير هذه العقيدة بالنسبة للمسلمين، والنصارى لا علاقة له بالإساءة إلى الأديان بحال من الأحوال، بل الإساءة أن تفتري الكذب، وأن تدعي على الآخر ما ليس فيه كما يفعل زكريا بطرس، ومن على شاكلته، فالإسلام علمنا العدل حتى مع

(١)(المائدة/ ١٧).

(٢)(المائدة/ ٧٢).

(٣)(المائدة/ ٧٣).

(٤)أخرجه مسلم رقم ١٤٣.

فما نعتقده أن الكتب السابقة حدث به نوع تغيير، وتحريف، وتبديل، ومع ذلك فبها بقايا من حق لذا نحن مأمورون فيما يحدثنا به أهل الكتاب أن لا نصدق إلا بما نعلم أنه الحق، كما لا نكذب إلا بما نعلم أنه باطل. فمن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ:(كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -: (لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [1].

* أما عن عقيدة التثليث (الآب، والابن، والروح القدس) فالإسلام يرفضها قولاً واحداً لقول الله – تعالى-: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[2].

* وأما عقيدة الصلب، والقتل فالقرآن ينفيها نفياً قاطعاً، قال – تعالى- في رده على اليهود: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾[3].

إن القرآن قد أثبت كفر النصارى بنصوص قطعية الدلالة منها قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ

(١)أخرجه البخاري رقم٤٢١٥.

(٢)(النساء/ ١٧١).

(٣)(النساء/ ١٥٧).

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[3].

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ- أنه قال: (**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**)[4].

هذه عقيدة لا يمكن التنازل عنها، ولا التفاوض فيها بالنسبة للمسلمين والنصارى، أم أن البابا يرى أن نقول إن كتابه المقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وأنه محفوظ من التحريف، والتبديل، والتغيير، وأن الأقانيم الثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس آله حقيقية، وأن المسيح صلب، وقتل تكفيراً لخطايا البشر، وأن النصارى من الموحدين، وأنهم سيدخلون جنة النعيم!!! ونضرب بالقرآن، والسنة عرض الحائط حتى لا يتهمنا أحد بامتهان عقيدة الآخر؟!!!.

* إن تقرير هذه العقيدة بالنسبة للمسلمين، والنصارى لا علاقة له بالإساءة إلى الأديان بحال من الأحوال، بل الإساءة أن تفتري الكذب، وأن تدعي على الآخر ما ليس فيه كما يفعل زكريا بطرس، ومن على شاكلته، فالإسلام علمنا العدل حتى مع

(١)(المائدة/ ١٧).

(٢)(المائدة/ ٧٢).

(٣)(المائدة/ ٧٣).

(٤)أخرجه مسلم رقم ١٤٣.

المخالفين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

ويحذر الإنجيل كذلك من الظلم، وافتراء الكذب، ففي إنجيل لوقا: «لاَ تَظْلِمُوا أَحَداً وَلاَ تَشْتَكُوا كَذِباً عَلَى أَحَدٍ»[2].

ثانياً: صحيح أن أيمن الظواهري هو الرجل الأول حالياً في تنظيم القاعدة لكنه هارب خارج البلاد، وهو محكوم عليه بالإعدام، وصدرت ضده عدة أحكام أخرى من المحاكم المصرية، وهو غير مرحب به داخلياً. هذا على الرغم أن جل أعمال، وأقوال الظواهري تنصب على مقاومة المحتل في العراق، وفي أفغانستان، وليس من أدبيات هذه المنظمة إعلان الحرب على النصارى في داخل البلاد.

ثالثاً: يعلم البابا جيداً أن زكريا بطرس يفتري الكذب على الإسلام، ورسوله، وقرآنه مستغلة الإمكانيات المادية، والإعلامية الضخمة التي سُخرت له، ويتحدث باسم النصارى في مصر، فإن كان زكريا بطرس صادقاً في همزه، وغمزه للإسلام فليناظر أقل طالب مسلم في مقارنة الأديان ليرى، ويرى العالم حجمه الحقيقي إن كان له حجم، فإذا كانت المؤسسة الدينية النصرانية حريصة على الوحدة الوطنية، واستقرار الأمن، والسلام فعليها أن تقوم بدورها، وليس أقل من أن:

- ترد على سفاهة هذا الزكريا، وتعلن ذلك في وسائل الإعلام المختلفة.
- تعلن براءة المؤسسة الدينية منه صراحة.
- يفقد هذا المنحرف ومن على شكلته موقعهم في هذه المؤسسة. نعم، فالاعتذار وحده لا يكفي، لاسيما ومازال مسلسل الهجوم، والوقاحة مستمراً.

---

(١)(المائدة/ ٨).

(٢)إنجيل لوقا٣/ ١٤.

التطبيق الكامل لحقوق المواطنة

تنص المادة الأولى من الدستور المصري على أن: جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطي يقوم علي أساس المواطنة، والشعب المصري جزء من الأمة العربية يعمل علي تحقيق وحدتها الشاملة.

المواطنة تعني باختصار شديد أن يتساوى المواطنون في الحقوق، والواجبات، وقد سبقت الشريعة الإسلامية كل الشرائع، والنظم في تقرير حق المواطنة، ولم تقف الشريعة الإسلامية بآفاق التسامح الإسلامي، والمساواة الكاملة في حقوق المواطنة، وواجباتها، عند أهل الديانات السماوية - اليهود والنصارى - الذين قررت لهم الوثائق الدستورية الإسلامية هذه الحقوق منذ اللحظة الأولى لقيام الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة المنورة سنة (1 هجرية وسنة 662 م) لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.

لم تقف الدولة الإسلامية، والشريعة الإسلامية بهذه الآفاق السامية عند أهل الديانات السماوية، وإنما عممتها حتى على أهل الديانات الوضعية أيضًا - من المجوس وغيرهم-.. فبعد الفتح الإسلامي لفارس، عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- الأمر على مجلس الشورى- مجلس السبعين - وقال: نحن نعرف حكم اليهود والنصارى..فماذا عن حكم المجوس؟.. فوثب عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قائلاً: « أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ- يقول« «سنوا فيهم سنة أهل الكتاب».. فعاملة الدولة الإسلامية - ذات المرجعية الإسلامية- طوال تاريخها أهل الديانات الوضعية- المجوس.. والزرادشت.. والبوذيين..والهندوس- معاملة أهل الكتاب، التي قررت مبادئها، ومواثيق رسول الله ﷺ - لغير المسلمين في الدولة الإسلامية.

وإذا كانت المواطنة، وحقوقها قد عرفها الغرب على أنقاض الدين، بعد انتصار

العلمانية على الكنيسة الغربية..ولذلك جاءت مواطنة علمانية.. فإن الإسلام هو الذي أنشأ المواطنة، وشريعته هي التي قررت حقوقها، وبذلك ضمنت القداسة لهذه الحقوق، حتى لا تكون «منحة» يسمح بها حاكم، ويمنعها آخرون.. وبعبارة رسول الله ﷺ -: «**فمن خالف عهد الله، وعصى ميثاق رسوله فهو عند الله من الكاذبين**».

كذلك قرر الإسلام- في دستور دولة المدينة- أن الشريعة الإسلامية- كما هي ضامنة للحقوق، والواجبات في المواطنة- فإنها هي المرجع عند الاختلاف.. فنص هذا الدستور على «أنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله..».

هكذا أبدع الإسلام- الدين والدولة، والحضارة- كامل المساواة في حقوق المواطنة، وواجباتها، قبل أربعة عشر قرنًا..عندما كانت الدول، والحضارات الأخرى لا تعترف بالآخر..فالمواطنون في «أثينا» كانوا هم الرجال الأحرار الملاك الأشراف من اليونان..ومن عداهم برابرة ليست لهم أية حقوق.. وكذلك كان الحال عند الرومان..لكن الإسلام هو الذي قرر، وقنن، وطبق كامل المساواة بين الرعية، والأمة في الدولة الإسلامية- في تكافؤ الفرص.. وفي حرمة الأنفس..والدماء..والأعراض..والأموال..والعقائد..والحريات..ولذلك فتحت الأبواب الواسعة أمام مختلف الملل، والنحل والمذاهب فشاركوا في بناء هذه الحضارة الإسلامية، وصنع التاريخ الإسلامي.

وإذا كانت السنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني، فإن هذه العهود النبوية التي قننت حقوق المواطنة، وواجباتها هي «سنة نبوية قولية» تحولت إلى «سنة عملية» عندما وضعت في الممارسة، والتطبيق.. وأمام هذه السنة النبوية لا مجال لأي اجتهاد يخالفها.. سواء أكان هذا الاجتهاد نابعًا من «ضيق الأفق» الذي لا يستوعب سماحة الإسلام..أم نابعًا من الاتجاهات التي تريد عزل الشريعة الإسلامية عن

مكانتها، كمرجعية تحمي جميع الحقوق، والواجبات لسائر المواطنين، على اختلاف العقائد والديانات[1].

محاربة الشائعات

إن الشائعات من أخطر الحروب المعنوية، والأوبئة النفسية، لأنها تستهدف عمق الإنسان، وعطائه، وقيمه، ونمائه، بل هي من أشد الأسلحة تدميراً، وأعظمها وقعاً، وتأثيراً، وهي ظاهرة اجتماعية عالمية، لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية، وهي جديرة بالتشخيص، والعلاج، وحرية بالاهتمام، والتصدي لاستئصالها، والتحذير منها، والتعاون للقضاء على أسبابها، ودوافعها، حتى لا تقضي على الروح المعنوية في الأمة، التي هي عماد نجاح الأفراد، وأساس أمن المجتمعات واستقرارها.

إن الذي يطالع التاريخ الإنساني، يجد أن الشائعات وجدت حيث وجد الإنسان، بل إنها عاشت وتكاثرت في ربوع كل الحضارات.

موقف الإسلام من الشائعات:

لما جاء الإسلام، اتخذ موقفاً حازماً من الشائعات، وأصحابها؛ لأن نشرها، وبثها بين أفراد المجتمع له آثار سلبية على تماسك المجتمع المسلم، وتلاحم أبنائه، بل قد عد الإسلام ذلك سلوكاً سيئاً، منافياً للأخلاق النبيلة، والطبائع، والسجايا الكريمة، والمثل العليا، التي جاءت بها شريعتنا الغراء، وحثت عليها، من الاجتماع، والمحبة، والإخاء، والمودة، والتعاون، والتراحم.

كما حذر الإسلام من الغيبة، والنميمة، والوقيعة في الأعراض، والكذب والبهتان، وقالة السوء بين الناس، وهل الشائعة إلا كذلك؟ وأمر بحفظ اللسان، وبين خطورة الكلمة فأخبر الله - سبحانه وتعالى- أن الإنسان مسئول أمام الله - عز وجل- ومحاسب عن كل صغير وجليل.

(١)د. محمد عمارة :حقوق الأقليات، جريدة المصريون٢٨/ ٩/ ٢٠٠٩م.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1].

وحرم الله القذف، والإفك، وتوعد مروجي الإشاعات بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾[3]، وحث الإسلام على التثبت، والتبين في نقل الأخبار، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾[4].

كما نهى الإسلام أتباعه عن أن يطلقوا الكلام على عواهنه، ويلغوا عقولهم عند كل شائعة، أو ينساقوا وراء كل ناعق، ويصدقوا كل دعي مارق قال رسول الله ﷺ: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)[5].

وسداً لباب الفساد أمام الوشاة المغرضين، ونقلة الشائعات المتربصين، ومنعاً لرواج الشائعات، والبلاغات الكاذبة الكيدية المجهولة، والأخبار الملفقة المكذوبة على الأبرياء الغافلين يقول ﷺ- فيما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أسماء بنت يزيد- رضي الله عنها-: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ الْمُشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ)[6].

---

(١)(ق/ ١٦: ١٨)

(٢)(النور/ ١٩).

(٣)(الأحزاب/ ٦٠).

(٤)(الحجرات/ ٦).

(٥)صحيح: وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٤٨٠.

(٦)حسن: أخرجه أحمد رقم ٢٧٦٤٠ والبخاري في الأدب المفرد رقم ٣٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم ٣٢٣.

خطر الشائعات:

كم حدثت من جناية على الأبرياء الذين لهم كفاءة في أعمالهم بسبب إشاعة أطلقها دعي مأفون، ذو لسان شرير، وقلم أجير، في سوء نية، وخبث طوية، ومنذ فجر التاريخ والشائعات تنشب مخالبها، لاسيما في أهل الإسلام، يروجها ضعاف النفوس، والمغرضون من أعداء الديانة، ويتولى كبرها أعداء الإسلام من اليهود قتلة الأنبياء، ونقضت العهود بغية هدم صرح الدعوة الإسلامية، والنيل من أصحابها، والتشكيك فيها.

إن الشائعات جريمة ضد أمن المجتمع، وصاحبها مجرم في حق دينه وأمته، يثير الاضطراب، والبلبلة، والفوضى في الأمة، فهو شر من مروجي المخدرات؛ لأن كلاً منهما يستهدف الإنسان، فكم للشائعات من آثار سلبية على الرأي العام، وصناع القرار في العالم.

ومن المؤلم حقاً، أن تتلقى الإشاعات المغرضة وكأنها حقائق مسلمة، فيجلس أحدهم ساعات طويلة أمام أجهزة الإعلام، أو أمام الانترنت عبر المواقع المشبوهة، فيشوه سمعه، وبصره بالشائعات الباطلة، مما تتحرج النفوس المؤمنة من مطالعته، أو البوح به، فيصبح من حيث لا يدري أداة في أيدي اللوبي الصهيوني العالمي ضد أمن أمة الإسلام.

وقد رسم الإسلام المنهج الصحيح لمواجهة أخطار الشائعات، حتى يقوم المجتمع المسلم على بناء قوى متماسك يواجه الفتن، والعواصف العاتية، والأمة مطالبة بالتصدي لهذه الظاهرة المدمرة للمحافظة على أمن المجتمع، واستقراره، وعلى البيت، والمسجد، والأسرة، والمدرسة، ووسائل الإعلام، دور كبير في الوعي، وتقوية الوازع الديني، ونشر الحقائق، وتبيينها، وعدم التساهل في نقل الكلام، وبث الأنباء، وخاصة في أوقات الأزمات، وعدم التهويل، أو الإثارة والمبالغة، في التحليلات المشبوهة.

ومن أولى الخطوات في مواجهة حرب الشائعات تربية النفوس على الخوف من الله، والتثبت في الأمور، فالمسلم لا ينبغي أن يكون أذناً لكل ناعق، بل عليه التثبت، والتحقق، ليسد الطريق أمام الأدعياء، الذين يعملون خلف الستور.

الشائعات للأسف الشديد تنتشر في بلادنا، بل وفي كل بلاد العالم بسرعة الصاروخ في كل المجالات، وبين مختلف فئات المجتمع، فقد وصلت الأمور لذروتها لدرجة أن حادثاً جنائياً يحدث يومياً آلاف المرات تم استغلاله في خدمة المؤامرة فقد قتلت أسرة مصرية مسيحية في الولايات المتحدة فثارت ثورة النصارى، وادعى بعض المخدوعين أن العائلة هربت من الاضطهاد من مصر فلحق بها الاضطهاد في أمريكا.... كلام لا يصدقه طفل صغير إلى أن بانت الحقيقة، وظهر أن الجريمة جنائية ارتكبها جار أمريكي بهدف السرقة، ولو لم تسرع الشرطة باكتشاف القاتل لربما تصاعدت الأمور إلى وضع مؤسف.

إشاعة خطف الفتيات وإجبارهن على الإسلام:

إن من يتابع الأخبار المزورة، والملفقة عن خطف الفتيات النصرانيات، وإجبارهن للدخول في الإسلام يُخيل إليه أننا نعيش في شيكاغو، وليس في مصر الذي أعظم ما يميزها: الأمن، والأمان.

تارة يزعمون أن الجماعات الإسلامية وراء هذه الحالات، وتارة أخرى ينسبون الأمر إلى ابن لادن! وتارة ثالثة يتهمون الدولة بضلوعها في هذه الجريمة.

ولأننا نعلم كما يعلم الإعلام المضلل، ويعلم كبار رجال الكنيسة بما فيهم أعضاء المجمع المقدس أنه لا يوجد شيء اسمه خطف، فقد قال الأنبا بخوميوس في مؤتمر تثبيت العقيدة باللفظ :« مفيش حاجة اسمها خطف بنات، محدش بيعرف يخطف قطة دلوقتي، وكل من تذهب تذهب بكامل إرادتها إما طمعاً في الإسلام، أو هروباً مع شخص»، والسؤال هو: لماذا لا ينشر وسائل الإعلام المضلل هذه

التصريحات؟. فمن جديد عاد حديث بعض النصارى في مصر، ومنظمات أقباط المهجر عن ظاهرة خطف الفتيات القبطيات، وإجبارهن على الأسلمة بعد واقعة إسلام الفتاتين: ماريان، وكريستين وزواجهما من مسلمين...

قال مدحت قلادة المسئول الإعلامي لمنظمة أقباط متحدين في سويسرا إننا نملك سجلاً كاملاً موثقاً عن حالات لفتيات المسيحيات المختفيات منذ عهد السادات لأننا في عهد عبدالناصر لم نسمع أبداً عن قصص الحب بينهن، وبين شباب مسلمين.

ويوضح أنه لا يستطيع تحديد رقم لهذه الحالات لأنه لا يملك سجلاً كاملاً بكل محافظات مصر، لكن الأرقام موجودة في مديريات الأمن، وفي الكاتدرائية بالعباسية، ويشير إلى أن معظم المختفيات فتيات قاصرات «دون الثمانية عشرة من العمر» كما في حالة الفتاتين التي أثيرت مؤخراً «ماريان وكريستين» ويعتقد أنه سيتم الاحتفاظ بهما إلى أن يبلغا سن الرشد، ثم تجري عملية إشهار إسلامهما.

ويصف ما يحدث بأنه عملية تغرير بالفتيات القبطيات، بالوظائف، أو العاطفة، أو المال، ويعتقد أن ممولين خارج مصر لتلك العملية.

ويقول :«نحن لا نعارض علاقات الحب التي تكون فيها الفتاة القبطية كاملة الأهلية. عندنا في المسيحية (الله محبة)..هي حرة في ذلك ما دامت تملك أهليتها ولها حرية العقيدة»[1].

ولأن الأزهر يمثل الضلع الرئيس في هذه القضية، وهو المسئول عن إعطاء الإشهار الرسمي للمسلمين الجدد سألت «العربية.نت» الشيخ عبدالله مجاور- رئيس لجنة الفتوى الأزهرية التي تمتلك تلك الصلاحيات- فقال: «لجنة الفتوى يتبعها مكتب إشهار الإسلام للمصريين، وهناك مكتب آخر خاص بالأجانب في

(١)دنيا الوطن: ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٥م.

مقر المشيخة الأزهرية».

وأوضح أن«المسيحيين الذين يحملون الجنسية المصرية، ويرغبون في اعتناق الإسلام يأتون إلى المكتب الموجود عندنا في لجنة الفتوى للإشهار، يأتون طواعية، فلا إكراه على فتاة، أو امرأة، أو رجل من أجل أن يشهر إسلامه، لأننا نسير على المنهج الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[1] وشدد الشيخ مجاور على القول:«إنهم يأتون إلينا طواعية ليشهرون إسلامهم فهل نردهم؟.. لا بالطبع، عندنا ضوابط لا يتم الإشهار بدونها منها:

- أن يكون بالغاً رشيداً عاقلاً.

- وأن يأتي بشهود معه لكي نتأكد أنه جاء طواعية.

- وأن يكتب عندنا إقراراً على نفسه بأنه جاء طواعية، ولم يكرهه أحد على الإسلام، وبدون هذا الإقرار نرفض أن نعطيه إشهار الإسلام، وهناك أمثلة كثيرة حصلت، كأن يتبين لي أنه جاء عن طريق أحد، أرفض ذلك إلى أن يتأكد لي أنه لم يمارس عليه إكراه، ويتضح لي من خلال مناقشته أنه رجل له فكر، وأنه اعتنق الإسلام عن إيمان وحب وهكذا».

وأكد أن اللائحة التي وضعها الأزهر بشأن إشهار الإسلام سواء من الفتيات، أو الشباب تنص على ألا يكون السن أقل من١٦ عاماً، فالشرع حدد ذلك بالبلوغ، والفتاة تبلغ عادة قبل ١٦عاماً، وبالتالي وضعت اللائحة هذا السن كحد أقصى لمرحلة البلوغ، نافياً ما تردد بأن لائحة الأزهر تحدد سن ٢١ سنة شرطاً لإشهار الإسلام، موضحاً أنه لا يمكن وضع لائحة مخالفة للشرع.

وسألت الشيخ مجاور: هل تنص لائحة إشهار الإسلام على إعلام الكنيسة،

(١)(البقرة/ ٢٥٦).

وإخضاع الفتاة التي تريد الإسلام لجلسات النصح بالكنسية؟. فأجاب بقوله: لا يوجد نص على ذلك. جهات أخرى لها اتصال بالكنيسة تقوم بذلك.

بالنسبة لنا من يأتينا طائعاً، مختاراً، بالغاً سن الرشد، والكمال- رجلاً، أو امرأة- ونجد فيه الرغبة الحقيقية في اعتناق الإسلام، ويكتب إقراراً على نفسه بأنه لم يكره على ذلك، نقوم بإشهار إسلامه، وعليه بعد ذلك أن يكمل إجراءاته مع الجهات المعنية الأخرى، وهذه الجهات قد تتصل بالكنيسة، أو غير ذلك وقد تعقد له جلسات».

وحول توصيف منظمات أقباط المهجر بأن اعتناق فتيات قبطيات للإسلام يأتي ضمن ظاهرة حوادث خطف، وأسلمة جبرية، قال الشيخ عبد الله مجاور- رئيس لجنة الفتوى الأزهرية-: «هذه مبالغة شديدة جداً جداً. هذا لا يحدث أبداً، ليس عندنا في مصر إكراه على الإسلام، وهذا أقوله لك كشخص معايش للواقع، وأقوم بهذه الإجراءات بنفسي، لم يأت أحد أبداً مكرهاً على الإسلام، نحن لسنا في حاجة لمسلمين جدد حتى نقوم بذلك، ولكن من يأتي راغباً للإسلام عن حب، وإيمان لا نرده عملاً بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، طالما أنه يفي بجميع الشروط التي وضعها الأزهر».

وقال إن الجهات الرسمية لا تعطي أية أوراق للشخص الذي تحول للإسلام تتوافق مع ديانته الجديدة دون أن يقدم الإشهار الممنوح له من الأزهر، لكن هناك نصارى مصريين يشهرون إسلامهم في دول أخرى، ويأتون بوثائق تثبت ذلك ونحن نقوم بتأكيدها لهم.

وأوضح أن الإشهار الأزهري هي عملية رسمية نظامية من أجل البطاقات الشخصية، وجوازات السفر، لكن المتحول للإسلام يصبح مسلماً شرعاً بمجرد قراءته الشهادتين، وأداء فرائضه الدينية، وهذا يدخل في إطار الشأن الشخصي.

وقال الشيخ مجاور:«نحن في لجنة الفتوى بالأزهر نعمل في النور، ولا تعتيم عندنا على هذه الأشياء، ولا ضغط على كائن من كان، ولم يثبت قطعياً أن جاءنا شخص بالإكراه. وقد جاءني بعض المسئولين من إخواننا المسيحيين، وتحدثنا كثيراً عن ما يحدث في مكتب الإشهار وبمنتهى الحيدة، وقد أعربوا عن اقتناعهم تماما».

وتواصل العربية تقريرها فتقول: ...اتهام بعض الجهات القبطية لجماعات معينة جعلنا نسأل الخبير في شئون الجماعات، والحركات الإسلامية الدكتور كمال حبيب عن حقيقة ذلك فقال:«مراجعة أدبيات الإسلاميين تدل على أنه لا يوجد إطلاقاً استهداف للأقباط بكل طوائفهم بأي شكل من الأشكال، إنما العمليات التي حدثت مثلاً من الجماعة الإسلامية في الماضي بخصوص محلات الذهب، أو غيرها كانت جزءا من إطار تنامي صراع طائفي بين الأقباط، وبين الدولة.

وأضاف أن العنف الذي حصل في مصر لم يكن مقصوداً به مسيحيون إطلاقاً، وإنما استخدمت جهات يسارية، وعلمانية الورقة القبطية كجزء من تأجيج الصراع بين الدولة، وبين الإسلاميين».

وقال: «إذا كان التوتر الطائفي في الماضي حدث بين الكنيسة، وبين الدولة، فإن المصيبة حالياً أنه يحدث بين الكنيسة، وبين الجمهور المسلم كما حصل في الإسكندرية بعد حكاية الـCD الشهيرة الذي كان يحمل مسرحية مسيئة للإسلام. كما أن الكنيسة بدأت تستغل الظرف الديني المواتي للضغط على الدولة، والحديث عن مظالم قبطية هو تكرار لنفس المظالم التي أثيرت في المؤتمر القبطي عام١٩١٠م. من بين هذه الأشياء ما يثيره الآن أقباط المهجر بشكل رئيسي بأن هناك أسلمة للقبطيات من قبل جماعات إسلامية، وهذا لم يحدث أبدا».

وطلب من يثير هذه الدعاوى «أعطونا دليلاً. فمثلا حادثة الفتاتين ملخصها أنهما أحبتا شابين مسلمين، وتم الزواج. إننا نريد من يتهم جماعات إسلامية أن يقول

لنا أين هي هذه الجماعات؟..القول بأن هناك جماعات، أو منظمات دون ذكر أسماء يماشي العقل الغربي، ويغازل خياله، وليس له أي أساس حقيقي من الواقع، وغرضه الحصول على دعم من الجهات الأمريكية بالذات، وبعض المنظمات التي تدعم أقباط المهجر».

واستطرد الدكتور كمال حبيب :«لا يوجد إطلاقاً هذا الكلام. بالعكس فإن الخطاب الإسلامي بما في ذلك الجماعة الإسلامية نفسها حدث فيه تطور كبير جداً، واجتهادات تفسر النص الإسلامي باتجاه المواطنة، فمثلاً هناك اتجاهات قدمها المستشار طارق البشري في كتابه (المسلمون والأقباط) في اتجاه المشاركة».

وقال إن مراجعات الجماعات الإسلامية الأخيرة كلها تركز على فكرة المشاركة على أساس أخوة المواطنة، ولكل أن يظل على دينه، ويرى أن مسائل الخطف، والأسلمه ما هي إلا إشاعات: «قالوا عن وفاء أنها اختطفت، وأجبرت على الإسلام، ثم قالت هي بعد ذلك أنها خرجت بإرادتها، وقبل ذلك بعامين كانت تصوم، وتقرأ القرآن الكريم، إنه جزء من حملة على الدولة، وعلى الإسلاميين[1].

وقد نفى المفكر جمال أسعد أن يكون هناك عصابات منتشرة بشوارع أسيوط تقوم باختطاف الفتيات المسيحيات لإجبارهن على الزواج من شباب مسلم، مؤكدًا أن هذا الكلام عار تمامًا من الصحة.

وأشار إلى تفسير آخر لما يثار حول ذلك، قائلاً إن هناك قصص حب تنشأ بين فتيات، وشباب ينتج عنها تحول الفتيات القبطيات إلى الإسلام، وهو أمر لا يمكن أن نسميه اختطافًا حسب ما يروج بعض الأقباط .

وأضاف أسعد متسائلاً: إذا كان هذا القس يملك المعلومات ولديه عنوان المنزل المشار إليه في تصريحه فلماذا لا يبلغ السلطات الأمنية، والمختصة حتى تتخذ

(١)دنيا الوطن:٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٥م.

إجراءاتها لإيقاف هذه الجريمة بدلاً من المتاجرة بالقضية على المدونات، واستغلالها من أقباط المهجر بهذا الشكل المثير، والخطير؟.

واستطرد قائلاً: أنا من أبناء أسيوط، ولم أسمع قبل ذلك عن تلك العصابات، وإن كانت موجودة بالفعل فهذه جديدة، وإن لم يتم الإبلاغ عنها فهذه جريمة أكبر، متسائلاً: هل من المعقول أن تسير الفتاة القبطية في الشارع، ويتم اختطافها في وضح النهار من قبل عصابات؟. وطالب أسعد بمحاكمة المروجين لمثل هذه الشائعات التي تمس الأمن القومي لمصر، وبعد أن أصبح الواقع خطيرًا، داعيًا الكهنة إلى الكف عن الحديث عن اختطاف الفتيات القبطيات، وإجبارهن على اعتناق الإسلام، والاهتمام بدلاً من ذلك برعايتهن، وحسن تربيتهن[1].

إشاعة زوجة أحد الرهبان:

خرجت شائعة مغرضة عن خطف إحدى زوجات راهب كنيسة بأبو المطامير في محافظة البحيرة السيدة (وفاء قسطنطين) وأن الذي خطفها زميل مسلم لها في العمل لإجبارها على الزواج منه... واعتصم مئات من الشباب في الكاتدرائية المرقصية بالعباسية مطالبين بتسليم السيدة إلى ذويها وإلا فإن اعتصامهم سيطول، ويطول... وأوقات مثل هذه تكثر الشائعات، وتزداد مثل كرة النار تزداد شيئاً فشيئاً، وكل واحد يسمعها لابد وأن يضيف لها قبل نقلها.

وشهدت الكاتدرائية أحداث مؤسفة من مصادمات بين الأمن، والشباب المعتصم أدت إلى إصابة ٥٠ رجل أمن، وإتلاف عدد من السيارات خارج الكاتدرائية.. وبدون الدخول في تفاصيل ما حدث... كانت السيدة (وفاء قسطنطين ٤٠ سنة) زوجة الراهب يوسف عوض قد تركت أبو المطامير برغبتها،

(١) مجدي رشيد، جمال أسعد يُكذب وكيل مطرانية أسيوط: لا وجود لعصابات لاختطاف الفتيات القبطيات وعلى الكهنة الاهتمام بتربيتهن بدلاً من الترويج للشائعات، المصريون: ١٠/ ٩/ ٢٠٠٧م.

وإرادتها الحرة...وأعلنت إسلامها في إحدى أقسام الشرطة حتى تستكمل الإجراءات القانونية لإشهار إسلامها. .إلا أن الدنيا قامت ولم تقعد حتى يسلم جهاز الأمن وفاء قسطنطين إلى رجال الكنيسة الذين كانوا مُصَّرين على إنها واقفة تحت ضغوط، وتأثير، وبحاجة إلى دروس نصح، وإرشاد.

وعندما تأخر تسليم السيدة أعلن البابا رفضه لكل ما يحدث، وأنه متجه إلى وادي النطرون للاعتكاف احتجاجاً على ذلك، وأنه لن يرجع حتى تحل كافة المشاكل...وفى النهاية تم تسليم السيدة وفاء لتسلم إلى دير وادي النطرون لينتهي بها حال الله به عليم، وكنت أعتقد أن ملف السيدة وفاء قد انتهى للأبد لكن خاب ظني فعادت الصحف، والمنتديات تتراشق الاتهامات، والإدانات، فالمنتديات، والمواقع النصرانية يزعمون أنها عادت للنصرانية، وأنها كان مغرر بها، وواقعة تحت ضغوط.

ومما أهب الحماس ما ذكره الدكتور زغلول النجار في تسجيل صوتي نشر على الكثير من مواقع الإنترنت أن السيدة وفاء قتلت في وادي النطرون لرفضها العودة للنصرانية، وتحدى قيادات الكنيسة أن تخرج للناس، وتعلن خلاف ذلك، كل ذلك وجمعيات ومنظمات حقوق الإنسان لاترى، لاتسمع، لا تتكلم، وأعتقد أننا لو التزمنا بتعاليم الإسلام، والتزم النصارى بتعاليم كتابهم المقدس ما حدث هذا.

أحداث نجع حمادي المؤسفة

كانت أحداث نجع حمادي المؤسفة مرتعاً، ومجالاً خصباً لخفافيش الظلام لهواة الصيد في الماء العكر ممن يتربصون بأمن مصر، ووحدتها، واستقرارها فكثرت الإشاعات، والافتراءات التي لا تمت للحقيقة بصلة، ومن هذه الإشاعات:

- إن المستهدف كان هو الأنبا كيرولس.
- أن هذا العمل مخطط له من الجماعات الدينية.

• وجود تواطأ أمني مع المجرمين.

• اتهام شخصيات سياسية بالضلوع في الحادث.

وغير ذلك من الأكاذيب، والافتراءات، ولأن المصارحة مطلوبة، ووضع النقاط على الحروف، لاسيما عقب هذا الحادث لابد من بيان هذا الأمر:

* وقع هذا الحادث على خلفية اغتصاب طفلة مسلمة ١٢ عاماً على يد أحد المسيحيين ٢١ عاماً، ولم يكتف بهذا بل قام بتصويرها عارية بموبايل، وقام بنشر هذه الصور.

* قام عدد من المسلمين بمهاجمة ممتلكات قبطية في مدينة فرشوط جنوبي مصر بعد هذا الحادث، وحاول البعض النيل من الفاعل أمام مركز شرطة فرشوط خلال نقله إلى المحكمة لنظر تجديد حبسه في قضية هتك عرض الطفلة.

* بدوره أرجع اللواء مجدي أيوب هجوم نجع حمادي إلى العديد من الحوادث التي مثلت استفزازا للمسلمين، ومن بينها واقعة اغتصاب طفلة مسلمة في فرشوط، وقال: أنا مسيحي ومحافظ قبطي، ولقد شرحت وقائع الحادث والتي بدأت بواقعة الاغتصاب للطفلة المسلمة، وتبعها نزع أحد الأقباط وهو صاحب محل للموبايلات لنقاب إحدى المسلمات أمام محطة الأتوبيس لشكه في قيامها بسرقة أحد أجهزة الموبايل من محله، فضلاً عن تداول صور شابات مسلمات بطريقة فاضحة على تليفونات محمولة للنصارى.

* ذكر نجيب جبرائيل المستشار القانوني للكنيسة، إلى أن البابا توجه إلى الدير بعد ما انزعج من الأسلوب السلبي لتعامل السلطات مع الحادث. نفي جبرائيل استقرار الأوضاع في نجع حمادي، وأشار إلى حدوث مواجهات في مناطق عديدة مثل الرحمانية، وبهجورة، ونجع حمادي.

وكشف «جبرائيل» في تصريحات للـ «الوفد» عن وصول بعثة دولية لتقصي

الحقائق عن الحادث، وتضم ممثلين عن الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، أكد جبرائيل أن الأقباط لن يسمحوا بمروره مرور الكرام هذه المرة.

وانتقد جمال أسعد تصريحات جبرائيل، واتهمه بإشعال النيران في مصر، ولا يريد للفتنة أن تهدأ، كما اتهم المؤيدين لاتجاه جبرائيل بأنهم مستفيدون مادياً، وإعلامياً من خلال علاقاتهم مع الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وصف أسعد وصول بعثة دولية لتقصي الحقائق بأنها عار لمصر، وطالب البابا شنودة بإغلاق الباب في وجهها، ومحاكمة من طلبها، كما ندد بدخول الكنيسة طرفاً في حادث نجع حمادي، ووصف الحديث عن اعتكاف البابا، أو منع الاحتفالات بالعيد بأنه يؤجج الصراع، ويثير الفتن بين أبناء الشعب الواحد. وأشار إلى ضرورة التعامل مع الحوادث بمنطق وطني لا علاقة له بالدين، لأن القاتل مصري، والمقتول مصري أيضاً[1].

وقفات مع هذا الحادث المؤلم

- إنه لمن الإنصاف القول إن حادث نجع حمادي أدانه كل طوائف الشعب، ولم أسمع أن واحداً عبر عن رضاه بهذا الحادث.

- إن الحادث بعيد كل البعد عن الطائفية فالمتهم في الحادث كما هو معلوم لدى النصارى قبل المسلمين مسجل خطر[2]، وباعترافاته ليس وراءه تنظيم من أي نوع.

- إن من أطلق النار لم يفرق بين مسلم، ونصراني بديل موت حارس الأمن المسلم.

- من طالبوا بمحاكمة القتلة إلى محاكمة عسكرية، ومعهم كل الحق كان يجب عليهم أيضاً أن يطالبوا بمحكمة مغتصب الطفلة أمام محكمة عسكرية فالأعراض له وزنها في الشرائع السماوية.

(١) جريدة الوفد: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م.

(٢) حكم على القاتل حمام الكموني بالإعدام وتم تنفيذ الحكم يوم الاثنين ١٠ أكتوبر ٢٠١١.

- دعني أسأل هؤلاء الذين يريدون فتنة لا تبقي، ولا تذر لو أن آخر اغتصب طفلتك بهذه الصورة الهمجية وصورها، ونشر هذه الصور فماذا أنت فاعل؟ حسب أنك ستطالب البيت الأبيض أن يتدخل فوراً أليس كذلك؟.

التعامل مع أسباب وجذور المشكلة

على صناع القرار في الوطن الواحد العمل بجدية للتعامل مع أسباب وجذور المشكلة، وعدم الاكتفاء بالتعامل مع الأعراض، والمظاهر فقط، وهنا تتحمل المؤسسات التعليمية، والثقافية، ومنابر الفكر، ووسائل الإعلام مسؤوليتها، وأن تعيد هذه المؤسسات النظر في الخطاب الديني[1] لنزع كل ما يؤدى إلى الفتنة، وما يحض على التعصب، والتطرف وكراهية الآخر، والتعامل بجدية مع مختلف المشكلات القائمة، والقضايا المطروحة، وإيجاد الحلول لها دون تأجيل، أو تسويف بدعوى الاهتمام بالمشكلات الاقتصادية، والقضايا السياسية التي تحتل الأولوية دائماً في برامج العمل الوطني؛ لأن ترك الأزمات الطائفية تنمو، وتشتعل سوف يؤثر على خطط البناء، والتنمية في المجتمع، كما يتحمل علماء الدين مسؤولية تقديم صحيح الدين، وجوهر العقيدة إلى الرأي العام.

لذلك كان الواجب هو البحث عن أسباب التوتر الطائفي، لتخفيف درجة حرارتها وحدتها، والابتعاد بها عن درجة الصراع المدمر لسفينة الوطن- التي تجمع، وتقل الجميع- والوقوف بهذه الاختلافات عند إطار التنافس، والتسابق، والحراك الذي يولد الحيوية الاجتماعية، والفكرية في إطار وحدة السفينة- الوطن- وإقلاعها المتوازن وسط الأعاصير، والمخاطر، والأنواء.

وهنا يأتي دور الدعاة في الإصلاح، والبناء، كما تتحمل المدارس، والمعاهد الدينية مسؤولية تأهيل دعاة نابهين، وقادرين على التعامل مع المتغيرات الدولية،

(١) بما لا يخل بالثوابت.

والأحداث المعاصرة التي تفرض نفسها على الصعيدين الدولي، والمحلى لبناء إنسان سوي قبل بناء المصالح، وإصلاح الأراضي؛ لأن الإنسان هو الركيزة الأساسية، والعنصر الرئيسي في التنمية، وتقدم الأمم، فلا مجال للتقدم، والتحضر إذا لم يكن الإنسان هو الهدف الذي تتمحور حوله كافة الجهود لأي بناء مادي سوفِ ينهار مهما كان شامخاً، ويتحطم على صخرة الحقيقة الزائفة، وهنا تبرز أهمية بناء رأس المال البشرى في المجتمعات العربية.

obeikandl.com